جين رينز

@ketab_n
Follow Me
28.5.2016

صباح الخير منتصف الليل

رواية

ترجمة: منى الصفار

مراجعة: ناصر الظفيري

جين ريز

صباح الخير منتصف الليل

ترجمة: منى الصفار

مراجعة: ناصر الظفيري

مسعى للنشر والتوزيع
Masaa Publishing & Distribution

2015

Twitter: @ketab_n

صباح الخير
منتصف الليل

Twitter: @ketab_n

صباح الخير منتصف الليل / رواية

جين ريز

ترجمة: منى الصفار

الطبعة الأولى - 2015

ISBN 978-99958-70-90-4

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة - مملكة البحرين

853 / دع / 2014

جميع الحقوق محفوظة

مسعى للنشر والتوزيع

Masaa Publishing & Distribution

ص.ب: 65317 المنامة، مملكة البحرين

هاتف: 221 177 77 973+

فاكس: 212 177 77 973+

البريد الإلكتروني: info@masaapublishing.com

الموقع على شبكة الإنترنت: www.masaapublishing.com

Copyrights © Masaa for Publishing and Distribution

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات أو استرجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

تصميم الغلاف: محمد النبهان

الصف والإخراج الفني

GRADIENT MEDIA

info@gradientmedia.net

www.gradientmedia.net

Twitter: @ketab_n

صباح الخير منتصف الليل

أنا عائدة إلى وطني

تعب مني النهار

فكيف لي أن أتعب منه؟

نور الشمس كان مكانا لذيذا

أحببت البقاء -لكن النهار لم يردني- الآن

إذن تصبح على خير، أيها النهار.

إميلي دكنسون

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

القسم الأول

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

«كما الأيام الخوالي تماما» تقول الغرفة. «نعم؟ لا؟»

هناك سريران، واحد كبير للسيدة، وآخر أصغر منه للسيد في الجانب الآخر. المغسلة تغطيها ستارة. إنها غرفة كبيرة، رائحة الفنادق الرخيصة تتلاشى، وبشكل غير مدرك تقريبا. الشارع في الخارج ضيق، مرصوف بالحجارة، يتجه بحدة إلى أعلى التل وينتهي بخطوات طائرة. هو ما يدعونه مأزقاً.

مضى على إقامتي هنا خمسة أيام، عينت مكانَ الأكل في منتصف النهار، مكاناً للأكل في الليل، ومكاناً بإمكاني أن أجد فيه شراباً بعد العشاء. وبهذا أكون قد رتبت حياتي الصغيرة.

المكان الذي سأتناول فيه مشروبي بعد العشاء.. لحظة، لابد أن أكون حذرة في هذا، هذه الأمور مهمة للغاية.

في الليلة الماضية على سبيل المثال. الليلة الماضية كانت كارثة.

.. المرأة على الطاولة المجاورة بدأت في الحديث معي-امرأة ملونة، نحيفة، في الأربعين من عمرها تقريبا، مهندمة بشكل جيد، تترنم بأغنية تتمتم بها من تحت أنفاسها، يرافقها نقير أصابعها.

«أحب هذه الأغنية».

«آه، نعم، لكنها أغنية حزينة. الأحد الكئيب» قهقهت المرأة. «حزينة قليلاً».

كانت بانتظار صديقها، قالت لي.

Twitter: @ketab_n

وصل الصديق-أمريكي. طلب لي كأسا آخر من البراندي مع الصودا وعندما كنت أحتسيه أجهشت بالبكاء.

قلت: «هو أمر قد تذكرته».

اعتدلت المرأة الملونة، وصدرها للخارج «أفهم». قالت. «أفهم.. كلنا هكذا... أحيانا أنا أيضاً أشعر بالتعاسة مثلك تماماً، ولكنني لا أسمح للجميع برؤية ذلك».

ذهبت لأغتسل وأنا لا أستطيع التوقف عن البكاء. مغتسل مألوف. ولحسن الحظ كان خاليا. السيدة العجوز كانت في الخارج تتحدث عبر الهاتف مع فتاة ما.

ظللت هناك، أحدق في انعكاسي على الزجاج، ما الذي أبكي عليه؟... بالعكس، فعندما أكون واعية تماما كما أنا الآن، وأكون تناولت كأسين إضافيين من الشراب وأبقي واعية تماما، أدرك حينها كم أنا محظوظة. آمنة، منقذة، منتشلة، شبه غارقة، من أعماق النهر المظلم، ملابسي جافة وشعري مغسول بالشامبو، متأنقة. لا أحد بإمكانه أن يعرف بأنني مررت بهذا الوضع. فيما عدا، بالطبع، ما يتبقى من أثر دائما، نعم، هناك دائما أثر يبقى... لا بأس، ها هي أنا جافة من الكحول وواعية، في مكاني الذي ألوذ به. ما الذي أريده أكثر؟ أنا إنسانة آلية قليلاً، ولكني واعية، بالتأكيد -جافة، باردة وعاقلة. الآن نسيت أمر الطرق المظلمة، الأنهار المظلمة، الألم، الصراع... والغرق.

اسمحوا لي، أنا لا أتحدث عن الكفاح. عندما تكون قوياً وسباحا جيدا وأصدقاؤك متوثبين في انتظار أي إشارة لوهنك ليسرعوا لإنقاذك. أتحدث هنا عما هو حقيقي، عندما تقفز ولا أحد من أصدقائك المتوثبين حولك، عندما تغرق تغرق مصحوباً بضحكة صاخبة.

Twitter: @ketab_n

المغاسل... ماذا عن تلك الدراسة حول المغاسل، الحمامات -سيداتي؟... مغسل لندني من الرخام الأبيض والأسود، خمس عشرة سيدة في الطابور، كل واحدة تقبض على (بنسها) في يدها. ولا واحدة تمتلك من الوقاحة ما يكفي لتخطي دورها أمام المراقبة بوجهها الصارم. هذا ما أدعوه نظاماً... المغسل في فلورنس، والفتاة الجميلة الأنيقة تهرع إلى الداخل مقبّلة السيدة العجوز بحنان، وتطعمها الكعك من كيس ورقي. ابنة الراقصة؟ هذا المغسل الباريسي الحميم حيث المراقب يعرض مخدرات تشفي القلوب الجريحة.

عندما صعدت إلى الأعلى، كان الأمريكي وصديقته غادرا «إنه أمر تذكرته» أخبرت النادل. ثم نظر إلي بلا تعابير على وجهه. لم يهتم بأن يضحك مني، لم يكن متفاجئا، كان وجهه خالياً من التعبير.

كان هذا في الليلة الماضية.

استلقيت مستيقظة. أفكر في الأمر، وفي المال الذي أقرضتني إياه «سوديني»، والطريقة التي قالت بها: «لا أتحمل رؤيتك بهذا الشكل». عيناها نصف مغمضتين، مبتسمة بابتسامة تقول: «سوف تبدو كعجوز، إنها تشرب».

«لقد عرفنا بعضنا لمدة طويلة، ساشا» قالت «لنقف في احتفالية معاً».

لقد عدت من جولة نقاهتي حول ميدان مكلنبرغ وبطول شارع «غراي إن». كنت أنظر إلى هذا وأنظر إلى ذاك، أنظر إلى الناس وهم يعبرون الشارع، أنظر إلى نافذة المحل المليئة بالأطراف الصناعية. وعدت إلى أحدهم ليقول لي «لا أطيق رؤيتك بهذا الشكل.»

«بأي شكل؟» قلت

«أعتقد أنك بحاجة للتغيير. لم لا تعودين إلى باريس لفترة؟... ربما بإمكانك شراء ملابس جديدة -تحتاجينهم بالتأكيد.. سأقرضك المال» قالت هي. «سأكون هناك في الأسبوع القادم، بإمكاني أن أجد غرفة لك إن أردت». الخ.. الخ..

Twitter: @ketab_n

لم أر هذه المرأة منذ شهور وهاهي تنقض علي بهذه الطريقة.

حسنا، ها أنذا، عندما تصبحين باردة جدا وواعية جداً تصبحين سلبية جداً أيضا. «لم القلق؟ لم القلق؟».

لا أستطيع النوم، أتقلب من جهة لأخرى..

متى كان ذلك 1923 أم 1924 عندما كنا نعيش على زاوية جادة فيكتور-كزن واشترى لي إنو قبعة قوقازية، ومعطف استراخان؟ عندها بدأت أدعو نفسي ساشا، كنت أعتقد بأنني أستطيع أن أغير حظي عندما أغير اسمي. هل عاد الأمر بأي حظ؟ أتساءل -عندما دعوت نفسي ساشا؟

هل كان ذلك في 1926 أم 1927؟

أوقدت الضوء. زجاجة ماء إفيان على الطاولة بجانب السرير، أنبوب الإضاءة، الكتابان، الساعة تتكتك على الحافة، الستائر الحمراء..

أستطيع رؤية سوديني تبحث بتمعن عن فندق كهذا. إنها تتصور بأنه الجو الملائم لي. يا إلهي، إنها إهانة عندما تفكر فيها! غرف مظلمة أكثر، ستائر حمراء أكثر..

لكن.. لا يجب أن نضع كل شيء على متن الطائرة نفسها. هذه هي مقولتها المأثورة.

أيضا، يجب ألا تضعي الأشياء جميعها على الطائرة نفسها.. بالطبع لا. وهذه طائرتي... الرابعة.. إلى اليسار. من فضلك لا تتعثر بالفتحة في السجادة.. تلك أنا.

هناك بعض المناظر السوداء على الجدار، أحدق فيهم، متأكدة بأنها مؤثرة. بالطبع قمت بتجاهل بعض الحشرات في هذه الأثناء. «لا تضعي جميع الأشياء على متن الطائرة ذاتها..»

Twitter: @ketab_n

نهضت ونظرت عن قرب، فقط بقع من القاذورات. هذا ليس موسم الحشرات من العام على أية حال. أخذت مزيدا من الضوء، أطفأت النور ونمت في الحال.

أنا في الممر في مترو لندن. الكثير من الناس أمامي، الكثير من الناس خلفي. في كل مكان هناك لافتات مطبوعة بخط أحمر: الطريق إلى المعرض. الطريق إلى المعرض... وأنا لا أريد أن أسلك الطريق إلى المعرض- أريد طريقاً للخروج. هناك ممرات على اليمين، أخرى على الشمال. دون لافتة تشير إلى الخروج. الأصابع تشير في جميع الاتجاهات واللافتات تقول: الطريق إلى المعرض.. أمسك بكتف الرجل الذي أمامي. أقول: «أريد الطريق للخروج» لكنه يشير للافتات ويداه مصنوعتان من الفولاذ. أسير مطأطئة رأسي خجلة جداً أفكر «مثلي -يريد دائما أن يكون مختلفا عن الآخرين». الإصبع الفولاذي يشير إلى ممرحجري طويل، من هنا -من هنا- من هنا إلى المعرض..

الآن، رجل صغير ملتح بأنف مغرور، يرتدي ملابس نوم بيضاء طويلة يتحدث بجدية إلي. «أنا والدك»، يقول «تذكري بأني والدك» لكن الدم يسيل من جرح في جبهته. «جريمة قتل» يصرخ «جريمة قتل، جريمة قتل» بيأس أشاهد الدم يسيل. في النهاية صوتي يتمزق، يخرج من صدري؟ أصرخ أنا أيضا «جريمة قتل، جريمة قتل، النجدة.. النجدة» وتمتليء الغرفة بالصوت. أستيقظ من النوم ورجل في الطريق خارجا يغني نغم الفالس من عرض «البهلوانات هذا هو الحب في جولة الهواء» يغني.

أعتقد بأنه يوم جميل، لكن الإضاءة في هذه الغرفة سيئة للغاية لدرجة لا تجعلك معها متأكداً. في الخارج عند المخزن أنت لا تستطيع الرؤية إلا إذا كانت الكهرباء مضاءة. هو مخزن كبير مشوش منذ الصباح للمساء بالمقشات، الدلاء، أغطية المواسير المتسخه وغيرها -الحطام للأرضية الرائعة من تحته.

Twitter: @ketab_n

الرجل في الغرفة المجاورة يتباهى في ثوب نومه الأبيض المعتاد. يبدو وكأنه شبح المكان، وأنا لا أنفك ألتقي به.

هو نحيف كهيكل عظمي، وجهه يشبه طائراً غارقاً، عينان داكنتان مع تعبير غريب فيهما، تذلل، تملق، معرفة. لم ينظر لي بهذا الشكل؟.. هو يرتدي دائما ثوب نومه – أزرق مع بقع سوداء أو الرداء الأبيض المعروف. لا أستطيع تخيله بملابس الشارع.

«صباح الخير».

«صباح الخير» أتمتم. لا أحب هذا الرجل اللعين...

عندما أنزل للطابق السفلي يخبرني المدير أنه يريد رؤية جواز سفري. لم أترك لهم رقم الجواز، يقول. هذا المدير يشبه تماما المساعد الذي كان في مكتب المراهنات في ريو دي رينز –الذي يتجهم في وجهك ويأخذ حاجياتك منك لتقييمها. سمكة، يضعها في خزانته الخاصة، يحدق في العالم في الخارج بعينين زجاجيتين غير مصدقتين لشيء.

ما خطب هذا الرجل؟ لقد ملأت الأوراق بالتأكيد، ألم أفعل؟ الاسم: كذا وكذا، الجنسية: كذا وكذا.. الجنسية: هذا ما حيره – كان يجب أن أضع جنسيتي بالزواج.

أخبرته بأنني سأعطيه جواز سفري بعد الظهر، وأعطاني قبعتي بنظرة غائمة رافضة.

لا ألومه. إنها تصرخ «إنجليزية»، قبعتي. وثوبي يميزني. بعدها معطف الفرو اللعين هذا فوق كل ما سبق. آخر حماقة، آخر تناقض.

لا يهم، لدي بعض المال الآن، ربما أستطيع أن أفعل شيئا حياله. الساعة الثانية عشرة، يوم خريفي جميل، ولا شيء مقلق. بعض المال لأصرفه ولا شيء مقلق.

Twitter: @ketab_n

ولكن احذري! احذري! لا تأخذك الحماسة. أنت تعلمين ما يحدث عندما تتحمسين لأمر ما وعندما تمجدينه، أليس كذلك؟.. نعم.. وبعد ذلك تعلمين كيف تنهارين مثل بالون وخز بشوكة، أليس كذلك؟ تفقدين قواك.. نعم، تماما.. لذا لا مزيد من الحماس. سيكونان أسبوعين هادئين وعاقلين جداً. لا للكثير من الشراب، تجنب مقاهٍ معينة، في شوارع معينة، في مواقع معينة، وسيسير كل شيء بشكل جميل جداً.

الأمر هو أن يكون هناك برنامج، أن لا أترك أي شيء للصدفة –لا فراغ. لا تجوال بلا هدف مع تسجيلات غرامافون رخيصة تصدح في رأسي. لا «لقد حدث هذا هنا، هناك حدث هذا». الأهم من هذا كله لا بكاء أمام الآخرين وفي الأماكن العامة. لا بكاء على الإطلاق إن كنت تستطيعين ذلك.

أفكر في كل هذا –أمرٌ تماما عند المكان الذي أتناول فيه مشروبي بعد العشاء. هو مقهى في شارع دي لوبسرفاتور، يبدو خاوياً دائما، أتذكره بهذا الشكل من قبل.

سأدخل الآن وأتناول شراب برنود. واحد فقط لمرة واحدة فقط للحظ... هنا المعجزة. سأقول.. للمعجزة..

يدخل رجل يبدو عربيا مع فتاة كئيبة ترتدي النظارات.

«الحياة صعبة» يقول العربي.

«نعم، الحياة ليست سهلة» تقول الفتاة.

صمت طويل.

«يحتاج المرء للكثير من الشجاعة ليعيش» يقول العربي.

«آه، أصدقك» تقول الفتاة، تحرك رأسها وتطقطق بلسانها.

ينهيان شراب البيرة ويخرجان. أجلس وحيدة في مكان واسع، نظيف،

Twitter: @ketab_n

فارغ وأرى نفسي في الزجاج الطويل أمامي. أقلب صفحات من عدد قديم لمجلة L'Illustration. أفكر.. ربما لم أحظ بالعناية في العالم، باستثناء أن غداً هو الأحد -يوم صعب في كل مكان. الأحد المظلم...

مخطط له كما يجب، تناول الطعام، مشاهدة فلم، تناول الطعام مرة أخرى، شراب واحد، رحلة سير طويلة للفندق. الذهاب للسرير، لمعان، نوم.. نوم فقط -لا أحلام.

في الساعة الرابعة من مساء اليوم التالي كنت في سينما على الشانزليزيه، وبحسب البرنامج، أضحك بشدة في المكان الصحيح.

كان عرضاً جيداً للغاية وقد شاهدته مرتين. عندما خرجت كان الظلام قد حل، والمصابيح أضيئت. أنا سعيدة جداً. عندما تحتاج أن تتأقلم مع نفسك فالأمر يكون أسهل عندما تكون المصابيح مضاءة.

باريس تبدو بهية هذا المساء، أنت تبدين بهية هذا المساء، أيتها الجميلة أيتها الحبيبة وآه كم يمكنك أن تكوني عاهرة! لكنك لم تقتليني بعد هذا كله.. هل فعلت؟ وهم أيضا لم يستطيعوا قتلي..

في ذات المكان تقريبا قبل بضع ساعات كنا ننتظر لمشاهدة جنازة أناتولي فرانس(*) تمر. (إينو) يقول بأنه لا يجب أن نترك رمزا ثقافيا كهذا يختفي دون أن نمنحه تحية أخيرة.

كنا هناك نتبادل الحديث بلطف، نمنح أناتولي فرانس تحية أخيرة، معظم الناس الذين مروا كانوا يثرثرون معا بلطف أيضا، يبدون كمن يضربون مواعيد للغداء والعشاء، وكنا جميعا نمنح لأناتولي فرانس تحية أخيرة.

---

* أناتولي فرانس شاعر وروائي فرنسي شهير ولد في 1844 وتوفي عام 1924 حاصل على جائزة نوبل عام 1921 (المراجع)

Twitter: @ketab_n

أسير متذكرة كل هذا.. كل ذاك. أحاول أن أجد مكانا رخيصا لتناول الطعام. والأمر ليس بالسهولة التي يبدو عليها هنا.

صوت ضجيج الغرامافون يبدو عاليا في رأسي: «هنا قد حدث هذا، هناك قد حدث هذا...»

كنت أعمل في محل في هذا الشارع.

أستطيع رؤية نفسي أخرج من محطة المترو في روند بوينت كل صباح في الثامنة والنصف. أسير في شارع ماريغني، أنعطف لليمين ثم لليسار. أضع معطفي وقبعتي في غرفة المعاطف.

أسير عبر الممر وأبدأ بـ: «صباح الخير سيدتي. هل تود السيدة الشراء؟»

*

... لقد كانت غرفة واسعة بالأبيض والذهبي بأرضية غامقة لماعة. مقاعد لويس كوينز مقلدة، شاشات ملونة، ثلاث أو أربع دمى ممددة، مهندمة بشكل جميل. بوجوه جميلة خبيثة بيضاوية الشكل.

في كل مرة تصل زبونة للمحل، يقرع الحارس جرسا معلقا على رأسي. أتقدم بسرعة للعتبات الثلاث التي تقود إلى الباب الرئيسي وأقف هناك، ابتسامة محافظة، قد أقول «مساء الخير سيدتي، الآنسة مرسيدس استلمت رسالتك الهاتفية، وكل شيء جاهز.» أو ربما أقول «بالتأكيد، سيدتي... هل تود السيدة الشراء؟».

ثم أقود الزبونة إلى الطابق الأعلى حيث يتم العمل الحقيقي، أنادي الآنسة مرسيدس أو الآنسة هنرييتا، أو السيدة بيرون، بحسب ما تقتضي الحالة. وعندما أنسى وُجها ما أو يأتي زبون جديد. أقودها إلى بائعة في غير دورها، هناك طابور انتظار.

Twitter: @ketab_n

لم يكن هناك من مصعد في هذا المحل، لهذا السبب كنت هناك. كان واحدا من محلات الملابس تلك التي لا تزال تحتفظ ببرستيج معين -على الأقل بين الفرنسيين- لكن زبائنها في تناقص مستمر يوما بعد يوم.

لقد شغلت هذه الوظيفة الكئيبة لمدة ثلاثة أسابيع. لم أكن أستطيع القراءة أثناء العمل، لم يكونوا يحبون ذلك. كنت أشعر كما لو كنت مخدرة، جالسة هناك، أنظر لتلك الدمى الملعونة. أفكر أي نجاح كان من الممكن أن يصلن إليه في حياتها لو كن نساء.

بشرة كالساتان، شعر حريري، عيون مخملية، قلب كنشارة -كاملات تماماً. كنت أحسد الحارس، على الأقل بإمكانه أن يرى المارة في الطريق. من جهة أخرى عليه أن يقف في جميع الأحوال، نعم، ربما من الأفضل أن أكون نفسي على أن أكون الحارس.

هناك دائما روائح قوية في المكان، وأنا أتظاهر بأنني أستطيع التفريق بينها. اليوم كان ليور بلو، بالأمس كان نوي دي تشاين.. المكان أيضا تعبق منه رائحة ملمع الأرضيات، الأثاث القديم، ملابس الدمى.

للمحل فرع آخر في لندن، والمسؤول عن المحل هناك اشترى المعرض بالكامل. كل ثلاثة أشهر تقريبا كان يزور فرعنا من المحل، وكانت تنتشر الشائعات حول توقيت مجيئه وما إذا كان سيأتي في التوقيت المحدد. كيف يبدو؟ أوه، إنه إنجليزي حقيقي. لطيف جداً، أنيق جداً جداً، إنه إنجليزي حقيقي. رجل الأعمال... كنت أفكر «أوه، يا إلهي، إنني أفهم ما الذي يعنيه هؤلاء عندما يقولون إنجليزي حقيقي».

... يصل، قبعة باولر، بنطال ملكي، تعبير -يا إلهي-، عيون ها-ها - لقد عرفته منذ اللحظة الأولى. يصعد العتبات ومن خلفه سالفاتيني، يبدو قلقا للغاية. (سالفاتيني هو مدير محلنا). لا تدعه يلحظني، لا تدعه ينظر لي،

Twitter: @ketab_n

ألا يوجد ما يمكن أن يفعله الشخص ليكون غير مرئي؟ بالطبع، يجب أن تجعل عقلك شاغرا، محايدا، ثم يصبح وجهك شاغرا ومحايدا أيضا -تكون غير مرئي.

لا فائدة. يتجه لطاولتي.

«صباح الخير، صباح الخير آنسة...».

«السيدة جانسن» يقول سالفاتيني.

هل يجب أن أقف؟ أقف بالتأكيد، أنا أقف.

«صباح الخير».

أبتسم له.

«وكم لغة تتحدثين؟»

يبدو سعيدا قليلا. يبتسم لي. «أنيس» تلك هي الكلمة. ربما لهذا السبب أفكر أنها نكتة.

«واحدة» أجيب وأستمر في الابتسام.

الآن، ماذا يحدث؟... أوه، بالطبع...

«أفهم الفرنسية بشكل جيد»

يتململ ويعبث بالأزرار في معطفه.

«لقد أخبروني أن موظفة الاستقبال تتحدث الفرنسية والألمانية بطلاقة» يقول لسالفاتيني.

«إنها تتحدث الفرنسية» يقول سالفاتيني.

«جيد.. جيد» السيد بلانك ينظر رافعا حاجبيه.

«أحيانا» قلت بغباء.

Twitter: @ketab_n

بالطبع أحيانا عندما أكون ثملة، وأتحدث لشخص أحبه وأعرفه أتكلم الفرنسية بكل طلاقة بالطبع. في أحيان أخرى أجد نفسي أتحدث وحسب. ولأجل كل هذا فأنت ببساطة مخطىء يا سيدي مخطيء فقط.

أنا هنا لأنني أعرف عشيقة السيد سالفاتيني، التي تحدثت له عني، وفي اليوم الذي رآني فيه لم أكن أبدو بهذا السوء وهو كان في مزاج جيد. لا شيء له علاقة بطلاقتي في الفرنسية أو الألمانية. يا سيدي العزيز لا شيء مطلقا. أنا هنا لأني هنا، لأني هنا. وفقط لأثبت لك أنني أتحدث الفرنسية سأغني لك الآن أغنية عن ذلك: «إذا كنت تعرف إذا كنت تعرف كيف هو..».

بحق الرب اجمعي شتات نفسك، أقول: «أتحدث الفرنسية بشكل جيد، لقد عشت في باريس لثمانية أعوام» لا إنه متشكك الآن. الأسئلة حادة وقصيرة. «كم مضى لك تعملين هنا؟» «ثلاثة أسابيع تقريبا».

«ما كانت وظيفتك الأخيرة؟».

«كنت أعمل في ميسون كوس في قصر فيندوم».

«أوه حقا؟ كنت تعملين في كوس؟ أليس كذلك؟ عملت لدى كوس». يبدو صوته أكثر احتراما الآن «هل كنت عاملة استقبال هناك؟». «كلا لقد كنت عارضة.» يتفحصني من الأعلى للأسفل، من الأعلى للأسفل «منذ متى؟» يقول..

منذ متى؟؟ الآن يبدو كل شيء فارغا في رأسي. منذ متى؟ لا أعلم. «أربع أو خمس سنوات مضت».

«كم من الوقت بقيت هناك؟».

«لثلاثة أشهر تقريبا» أقول أنا.

يبدو بأنه كان ينتظر المزيد من المعلومات.

Twitter: @ketab_n

«ثم تركت المكان» قلتها بنبرة مرتفعة، (كنت مؤمنة بأنها واحدة من أيامي الجيدة، عندما كنت أستطيع قول كل شيء بشكل صحيح).

«أوه، تركتهم إذاً».

«نعم، تركتهم».

نعم يا سيدي العزيز لقد مللت وتركتهم، لكن ذلك كان قبل أربع أو خمس سنوات مضت. والكثير من الممكن أن يحدث خلال سنوات خمس. ولكن ليس لدي أدنى نية أن أتخلى عن العمل لديكم. أستطيع التأكيد على ذلك. وأرجو ألا تكون لديك النية، أقل نية لذلك، ومجرد التفكير في أن لديكم أدنى نية لذلك يجعل أطرافي باردة وقلبي يخفق.

«هل عملت في مكان آخر منذ ذلك؟».

«في الحقيقة.. لا لم أعمل».

«حسنا ...» يقول هو. يتحرك إلى الأمام، الخلف كما لو أنه شجرة على وشك أن تقع علي. ثم أصدر صوتاً يبدو كـ«هه..» وانطلق إلى غرفة في الخلف. يتبعه سالفاتيني.

جيد، يبدو أن الأمور مرّت بشكل سيء، كل شيء ظاهر بشكل كاف، لقد كان أسوأ ما يمكن أن يكون. لا يمكن أن يكون هناك ما هو أسوأ من هذا. ولكنه انتهى. الآن لن يلاحظني ثانية، سينسى أمري تماما.

سيدة إنجليزية عجوز دخلت إلى المحل بصحبة ابنتها، لمحتهما من الطابق العلوي وهرعت لترتيب صناديق العرض خلف الغرفة. بعد ساعة أو أكثر نزلتا إلى الطابق السفلي ثانية. اتجهتا لصناديق العرض، العجوز كانت متوثبة، والفتاة الصغيرة تبدو مترددة.

«هل من الممكن أن تريني بعض هذه الأشياء الجميلة؟» قالت السيدة العجوز. «أريد شيئا يصلح لأن أضعه في شعري مساءً».

Twitter: @ketab_n

«تخلع قبعتها، لقد كانت صلعاء تماما» صلعة بيضاء على جمجمتها مع شعيرات متفرقة رمادية.

الفتاة في الخلفية، تعدت الخجل بمراحل. وجهها قاتم تماما، ومنفصلة عن العالم من حولها «تعالي ماما، لنذهب، لا تتصرفي بسخافة، لايمكن أن تجدي شيئا هنا».

هناك قطعة طويلة من الزجاج بين النافذتين. السيدة العجوز تجرب الأشياء على رأسها الأصلع برضا تام.

تلتقي عينا الابنة بعيني في المرآة، عجوز شمطاء لعينة. ألا تبدو مضحكة؟... أحدق فيها ببرود.

سأخبر السيدة العجوز ألا تكترث لكل هذا. تشير لبضع أشياء وتقول: أود رؤية هذا.. أود رؤية ذاك. عجوز قوية بعينين سعيدتين، قويتين.

جربت وشاحا للرأس. مشطاً سباني، وردة. ريشاً أخضر على صلعتها. هادئة جدا وغير مكترثة، كانت تبدو كإمبراطور روماني في الشيء الأخير الذي جربته.

« هيا يا أمي، لنذهب الآن.. انسي كل هذا».

السيدة العجوز لا تعيرها أي انتباه، وأخرجت الأشياء جميعها من علبتي العرض كلاهما قبل أن تذهب. ثم قالت: «حسنا.. أنا آسفة، آسفة جدا لإزعاجك هكذا».

«لا إزعاج في الأمر سيدتي».

قبل أن تصلا إلى الباب همست الفتاة غاضبة «لقد جعلت من نفسك أضحوكة، كالعادة، كل من في المحل يتهامسون، إذا أردت تكرار ذلك مرة أخرى اذهبي لوحدك، أنا أرفض.. أنا أرفض»

Twitter: @ketab_n

لم تجبها السيدة العجوز، أستطيع رؤية انعكاسها في المرآة، لا تزال عيناها غير متأثرتين، إلا أن شيئا في فمها وخديها قد انهار... ولكن لم لا تشتري لها شعرا مستعارا؟ بعض الملابس المحترمة، كل الشمبانيا الذي تستطيع احتساءها، كل الأشياء التي لا يجب أن تأكلها وتتناولها جميعا، راقص تعرٍ إذا رغبت في ذلك؟ شعلة أخيرة، وستكون ميتة في غضون ستة أشهر. هذا كل ما تنتظرين أليس كذلك؟ ولكن لا، يجب أن تحصلي على موت بطيء، القتل البارد الذي لا يترك أثرا على ضميرك..

أضع الأشياء في العلب ببطء، بحذر، تماما كما كانوا من قبل.

يعيدني هذا للإفطار. أذهب إلى الطابق العلوي. طاولة وحيدة طويلة. العارضات والبائعات جميعهن مختلطات ببعضهن البعض.

بالطبع هناك عارضة إنجليزية «طيبة ورقيقة» وهذه كذبة لعينة أخرى. لكنها جميلة جداً -جميلة كزهرة من زجاج، والأخرى الفرنسية التي تعجبني كثيرا، هي «كأنها زهرة من الأرض..».

مازلت لا أستطيع تجاهل الوجبة في هذا المكان، لقد مضى زمن طويل أعيش على الخبز والقهوة، الأمر الذي يرهق معدتي في كل مرة. طبق اليوم، خضار، حلويات، قهوة وربع كأس من النبيذ بمبلغ إضافي، لكنه بخس جدا لدرجة أن الجميع يتناوله.

لا أحد يتكلم عن المدير الإنجليزي -صمت مطبق.

أذهب إلى الطابق السفلي، أشعر بالدوار والسعادة، في النهاية تذهب السعادة ويبقى الدوار. سالفاتيني يخرج رأسه من خلف الباب ورائي: «السيد بلانك يود رؤيتك».

أقرر أنه يود التأكد من أنني أتحدث الألمانية. كل الكلمات الألمانية القليلة التي أعرف تتبخر من رأسي. يا إلهي، ساعدني!

Twitter: @ketab_n

«نعم، نعم، لا لا، كم التكلفة. فيينا مدينة جميلة جدا، بودابست أيضا من المناطق الجميلة.

إنها جميلة، سيدي، لقد نسيت بلد الزهور. الألم كبير جداً»(*) أعرف هذا عموماً.

يجلس على المكتب، يكتب رسالة، أقف هناك. بالتأكيد أنه لاحظ كم هو رث حذائي.

سالفاتيني ينظر للأعلى، يبتسم لي ابتسامة ثم يشيح بنظره عني.

هيا، قفي بشكل مستقيم، ارفعي رأسك، ابتسمي.. لا لا تبتسمي، إن ابتسمت سيظن بأنك تحاولين إغواءه. أعرف هذا النوع من الرجال، لن يمنحني أدنى شك، لا تبتسمي إذا، يجب أن أبدو متوثبة، متيقظة، مكترثة... اخرجي من الباب، اهربي ... أيتها الغبية، قفي باستقامة، انظري بتوثب، متيقظة، مكترثة... لا انظري هنا. إنه يتعمد أن يفعل ذلك.. لا إنه لا يتعمد... إنه يكتب رسالة وحسب.. إنه.. إنه.. إنه يفعل ذلك بتعمد. أعرف هذا، أشعر به... ها أنذا أقف هنا لخمس دقائق. هذا مستحيل.

«هل وددت رؤيتي سيد بلانك؟»

ينظر للأعلى ويقول بحدة «نعم.. نعم، ما الأمر؟ ماذا تريدين؟ انتظري لدقيقة، انتظري لدقيقة».

في تلك اللحظة عرفت بأنه لا يريد أن أتكلم الألمانية، سيقوم بطردي. حسناً أسرع.. لننتهي من هذا..

لا شيء، وقفت هناك وحسب، مصابة بالذعر، يداي ترتجفان، قلبي يقفز من مكانه، يداي باردتان، أطير، أطير، أهرب من هذه الأصوات الفظيعة، من هذه العيون البغيضة...

---

* الكلمات هنا بالألمانية في النص الأصلي (المراجع)

Twitter: @ketab_n

لقد أنهى رسالته، يكتب سطرا أو اثنين في ورقة أخرى يضعها في مظروف ويغلقها.

«هل من الممكن أن تأخذي هذا إلى الـ kise؟»

... آخذه إليه؟ ... أنظر إلى سالفاتيني، يبتسم لي مشجعا.

السيد بلانك يقول مشددا «بسرعة من فضلك سيدة.. ممم.. من فضلك. شكرا جزيلا».

أتحرك وأسير كالعمياء عبر باب، إنه دورة مياه، يبدون متهكمين وهم يروني أخرج من الباب الصحيح.

سرت قليلا عبر الممر، ثم وقفت وظهري للجدار.

هذا منزل قديم جداً، منزلان قديمان جداً، الطابق الأول، مملوك للمحل تم تحديثه، غرف العرض، غرف التبديل، غرفة العارضات، ولكن في الطابق الأرضي غرف المعامل، المكاتب، وعشرات الغرف الصغيرة، ممرات لا تقود إلى مكان، درجات تتجه لأعلى، أخرى تتجه إلى الأسفل.

kies ... -kise لا تعني لي شيئا بالمرة. لقد أوقعني في حالة حيث لا يمكن أبدا أن أفهم ما الذي تعنيه.

الآن لا شيء يبعث على الذعر لابد أن هذا المظروف يحتوي اسما عليه... السيد ل. غروسيت.

في مكان ما في هذا المبنى يوجد السيد غروسيت.. وعلي أن آخذ هذه الرسالة إليه. الأمر سهل، أحدهم سيخبرني أين مكتبه... غروسيت.. غروسيت...

انعطف لليمين، أسيرُ عبر ممر آخر، أنزل من على السلم. غرف المشغل... لا لايمكن أن أسأل أحداً هنا. كل الفتيات سيحدقن بي. كم سأبدو غبية..

Twitter: @ketab_n

أجرب ممراً آخر، ينتهي بدورة مياه، بالدورات المياه في هذا المكان، ما لم يسمع أحد به.. أنعطف عند الزاوية، أجد نفسي في الممر الرئيسي، وأمامي شاب غريب، ينظر لي بنظرة غاضبة.

«من فضلك، هل من الممكن أن تدلني أين أجد السيد غروسيت؟».

«لا أعرف» يقول الشاب.

بعد هذا يبدو الأمر ككابوس. أصعد للطابق العلوي، أعبر الأبواب، الممرات -جميعها مختلفة، متشابهة تماما.

يجب أن أفعل شيئا، لكنني لم ألتق بأحد والأبواب كلها مقفلة.

لا يمكن أن يستمر هذا، هل يجب أن أرمي المظروف اللعين، وأنسى الأمر تماما؟

«هذا ما يجب أن تفعليه» أقول لنفسي، يجب أن تعودي وتقولي بكل هدوء -«أعتذر بشدة لكنني في الحقيقة لم أفهم إلى أين آخذ هذه الرسالة»

أطرق الباب. ينادي «ادخل» أدخل أنا.

يأخذ الرسالة من يدي، ينظر لي كما لو كنت كلبا أعطاه قطعة عظام قديمة جدا (قولي شيئا، قولي شيئا..).

«لم أجده».

«لكن كيف لم تجديه؟ يجب أن يكون هناك».

«أعتذر، لم أعرف أين علي أن أجده».

«لا تعلمين أين تجدين المحاسب؟!! -في غرفة المحاسبة؟».

«الخزينة» يقول سالفاتيني -لمساعدتي، لكن متأخرا جدا، ربما لو أخبرته بأن طريقة نطقه للكلمة أربكتني، سيبدو الأمر فظا. من الأفضل ألا أقول شيئا.

Twitter: @ketab_n

«ألا تعرفين؟».

«نعم أعرف، نعم.. أنا أعرف».

هذا لأقول بأنني في هذا الصباح كنت أعرف أين يقع مكتب المحاسب.

إنه لا يبعد كثيرا عن المكان الذي نضع فيه قبعاتنا ومعاطفنا، لكنني لا أعرف أمرا واحدا لعينا الآن ...

اهربي، اهربي من عيونها الآن، اهربي من أصواتهم الآن، اهربي ...

نحدق في بعضنا البعض، أتنفس بعمق، أخرج أنفاسي من صدري، أتنفس مرة أخرى..

«عظيم» يقول ببطء شديد، «عظيم جداً، يعلم الرب أنني معتاد على التعامل مع الأغبياء، لكن هذا أعظم بكثير.. هذه المرأة هي أكبر غبية التقيتها في حياتي، تبدو معاقة عقليا، إنها حالة ميئوس منها، ... أليست كذلك؟» يخبر سالفاتيني.

يدير سالفاتيني رأسه، كتفيه ورأسه، بمعنى «أنا أتفق معك، بائسة.. بائسة» أيضا «هي ليست بالسوء الذي تظن» أيضا: «يا إلهي، لم كل هذا؟ ما هذا اليوم؟ متى سينتهي؟ أي شيء توده» سالفاتيني يهز كتفيه.

لا يمكنني البكاء أمام هذا الرجل، كل شيء ولكن ليس هذا. قولي شيئا ... كلا لا تقولي أي شيء فقط اخرجي من الغرفة. «لا لحظة من فضلك» يقول «من الأفضل أن تأخذي هذه الرسالة، أنت الآن تعرفين لمن تأخذينها، أليس كذلك؟ المحاسب».

«نعم».

يحدق بي، شيء آخر يظهر في عينيه، إنه يعرف كيف أشعر -نعم إنه يعرف. «فقط ميئوس منها، غبية ميئوس منها، ألست كذلك؟» يقول

Twitter: @ketab_n

ببشاشة؟ بمرح؟ في الظاهر، للأسف أنا لا أعتقد ذلك.

«حسنا، ألست كذلك؟».

«نعم، نعم، نعم، آه نعم».

أنفجر في البكاء، ليس لدي حتى قطعة محارم!

«يا لي أنا» يقول السيد بلانك.

«سوف نرى...» يقول سالفاتيني.

أهرب منهم إلى غرفة القياس، عادة لا تستخدم كثيرا، أقفل الباب، أبكي لمدة طويلة -لنفسي، للسيدة العجوز الصلعاء، لكل الحزن في هذا العالم لكل الأغبياء والمهزومين..

في هذه الغرفة فستان معلق، ارتدته العارضات كثيرا، القطعة الأخيرة منه، وسيتم بيعه بأربعمئة فرانك فقط. وعدتني البائعات بإبقائه لي. جربته، رأيت نفسي فيه، فستان أسود بأكمام واسعة، مطعم بألوان مشرقة. -أخضر، أزرق، بنفسجي، إنه ثوبي، لو كنت أرتديه لما تعرضت أبدا للسخرية، أو وصمت بالغباء. الآن وقد توقفت عن البكاء يجب ألا آخذ هذا الفستان أبدا. اليوم، في هذا اليوم، في هذه الساعة، في هذه الدقيقة، أنا مهزومة تماما، وقد اكتفيت. الدائرة مكتملة الآن، الآن وبشكل غريب جدا لست خائفة من السيد بلانك. هو شيء وأنا شيء آخر. لقد عرفني منذ اللحظة الأولى التي رآني فيها، وأنا أيضا عرفته جيدا.. أذهب للغرفة الأخرى، هذه المرة دون أن أقرع الباب. سالفاتيني كان قد ذهب، السيد بلانك لا يزال يكتب الرسائل. هل يضرب مواعيد مع جميع الفتيات اللاتي يعرفهن في باريس؟ أراهن بأن هذا ما يفعله.

ينظر لي باحتقار، طبق اليوم، عيون مسلوقة، تقدم باردة...

Twitter: @ketab_n

حسناً لنتناقش في هذا الأمر، السيد بلانك الذي يمثل المجتمع، يجب أن يدفع لي أربعمئة فرانك في الشهر، هذا هو سعري في السوق. كوني إنسانة غير فاعلة في المجتمع، أفهم الأشياء ببطء، غير متأكدة، مهزومة في صراعها نوعا ما، لا يمكن نكران ذلك. لذا عليك أن تدفع لي أربعمئة فرانك في الشهر. لأستطيع الإقامة في غرفة صغيرة مظلمة، لأرتدي ملابس رثة، لتضايقني بقلقي ورتابتي ومشاعري غير المشبعة إلى أن أصبح أحمّر خجلا منذ النظرة الأولى. أبكي لكلمة، لا يمكن أن نكون جميعا سعداء، لا يمكن أن نكون جميعا أثرياء. لا يمكن أن نكون جميعا محظوظين -سيكون الأمر أقل متعة لو كنا جميعا كذلك. أليس كذلك سيد بلانك؟ لابد من الخلفية السوداء لتظهر الألوان. يجب أن يبكي البعض ليستطيع آخرون الضحك من صميم قلوبهم، التضحية مطلوبة... لنقل بأن لديك هذا الحق الغريب في أن تقطع ساقي. لكن أن تسخر مني لإعاقتي بعد ذلك -لا، لا أعتقد بأنك تمتلك هذا الحق. وهذا هو الحق الذي تتمسك به جيدا أليس كذلك؟ يجب أن تحتقر الناس الذين تسببت في استغلالهم. لكنني أتمنى لك الكثير من المآزق. سيد بلانك، وفقط كبداية أن ينهار محلك هذا، هاللويا! هل قلت كل ذلك؟ بالطبع لا! لم أقله، ولم أفكر به حتى!

قلت بأنني مريضة وأود المغادرة (سأبدأ بذلك أولا) قال بأنه يعتقد بأن ذلك أفضل. «لا أسف» يقول «لا أسف».

وها أنا الآن في شارع مارغيني مع راتب شهر-أربعمئة فرانك. الهواء لطيف جداً كما يمكن أن يكون فقط في باريس، إنه الخريف والأوراق الجافة تتطاير في الهواء، تتأرجح للأعلى تتأرجح للأسفل، تتأرجح من... تتأرجح إلى...

أفكر في الوظائف التي شغلتها. كان هناك وظيفة شغلتها في محل

Twitter: @ketab_n

اسمه «بريطانيا الشابة». x زائد Z B W. ما يعني 60-68 فرنكا ثم هيروغليفي آخر- XQ15tn- مما يعني شيئا آخر، 112.75 فرنكا. ملابس بحارة لصبي كانت هناك، أطقم نورفولك للرجال كانت هناك أيضا... هربت من هذه الوظيفة خلال أسبوع، وكم أنا سعيدة لهروبي هذا. ثم هناك تلك الوظيفة الأخرى -كدليل. أقف في قصر لا أوبيرا أفقد رأسي وأضيع الطريق إلى ريو دي لا بيه. شمالا، جنوبا، شرقا، غربا -كل هذا لا يعني شيئا بالنسبة لي، هما تريدان أن تمشيا بتؤدة، تطبطبان، تلك السيدة الهادئة وابنتها الأقل هدوءا. هما تريدان أن تسيرا الهوينى تحت شمس باريس إلى ريو دي لا بيه.

أستجمع شتاتي، ونصل إلى ريو دي لا بيه. نذهب إلى المحلات -الإنجليزية- الفرنسية للملابس ونذهب للمحلات الفرنسية-الفرنسية للملابس. ثم تقولان بأنهما تودان تناول الطعام. آخذهما إلى المطعم في قصر دي لا مادلين، ثراؤهما فاحش، هاتان الاثنتان، الأم وابنتها. كلاهما غنيتان جدا وحزينتان جدا. لا تستطيعان تخيل السعادة أو الفرح، لا الأم ولا ابنتها...

يقترح النادل في المطعم البان كيك مع صلصة الرم كتحلية. هما متشددتان في رفضهما للمسكرات. لكنهما أضافتا صلصة الرم. لم أر شخصا يتبدل مزاجه بسرعة مثل الأم، بعد أن حصلت على حصتين منه.

«يالها من صلصة شهية!» بعد الحصة الثالثة من التحليه كانت عيونهما تسبح، عينا الابنة تقول: «بالطبع، بالطبع.» عينا الأم تقول «ربما، ربما».

«من الغريب كيف من الممكن أن يكون ضوء الشمس حزينا بعد الظهر، أليس كذلك؟».

«نعم» أقول «من الممكن أن يكون حزينا».

Twitter: @ketab_n

لكن المزاج الجيد لم يدم طويلا.

تناولتا بعض القهوة وكأسا من الماء، واستعادتا ذاتهما مرة أخرى.

تود الآن الذهاب إلى معرض لويس فولر للمواد. وإلى المحل حيث تباع تلك الكاميرا الألمانية التي لا تباع أبدا خارج ألمانيا، والذهاب لشراء قبعة تبهر جميع من تراهم وفي ذات الوقت تكون سهلة اللبس. وفوق هذا كله تود الذهاب إلى معرض للصور لا تتذكر اسم المصور! ولا تعرف تحديدا أين يقع هذا المعرض. عموما هي متأكدة من أنها ستتذكر الاسم حالما تسمعه.

أحاول، أسأل الندل، السيدات المسنات في المغتسل، الفتيات في المحلات. هناك ماسونية تجمع اللواتي يقتنصن الأغنياء، وقد استطعت تدبر الأمور ماعدا أمر القبعة.

لكنها استطاعت أن ترى ما بداخلي، وأعطتني عشرين فرنكا فقط كبقشيش، ولم أحصل بعدها أبدا على عمل آخر كدليل من أمريكان إكسبرس. تلك كانت المرة الأولى والأخيرة.

أحاول دائما، لكنهم دائما ينظرون لما بداخلي ويكشفونني، الممرات لا تقود إلى مكان، الأبواب دائما مغلقة، أنا أعلم...

ثم أبدأ التفكير في الفستان الأسود بحنق، بغضب لو أنني استطعت الحصول عليه، لأصبح كل شيء مختلفا تماما، وأفكر لو أنني طلبت كذا وكذا.. أو ربما كذا وكذا وطلبت من السيدة بيرون لتحتفظ به لي؟... سأحصل على النقود. أحصل عليها.

تسيرين ليلا وتلك المنازل القاتمة تطل عليك، كوحوش، عندما يكون لك أصدقاء، المنازل تصبح منازل فقط بدرجات أماميه ومداخل -بيوت صديقة- البيوت الصديقة هي تلك التي تفتح لك الأبواب، وتجدين فيها شخصا يستقبلك مبتسما. عندما تكونين آمنة ولك جذور ضاربة في الأرض.

Twitter: @ketab_n

هم يعلمون، يقفون لكِ باحترام. ينتظرون الشيطان الذي بلا أصدقاء وبلا نقود. ثم يتراجعون، خطوة للأمام. البيوت التي تنتظر، لتكفهر وتصرخ في وجهك. لا أبواب مضيافة، لا نوافذ مضاءة، فقط ظلام مقطب في وجهك، هم يعلمون كما يعلم رجل الشرطة في الزاوية. فلا تقلقي...

تسيرين ليلا، عائدة إلى الفندق، دائما الفندق نفسه. تضغطين الزر، يفتح الباب، تصعدين السلالم، دائما السلالم نفسها، دائما الغرفة نفسها..

الأرض خاوية ومهجورة، في هذا الوقت من الليل لا أسطل، لا مكانس، لا أكوام من الملاءات متسخة.. الرجل في الغرفة المجاورة وضع حذاءه في الخارج. - طويل، مدبب، بجلد واضح هذا الحذاء، مليء بالخدوش. يرتدي ملابسه، ثم.. أتساءل عن هذا الرجل. ربما يكون مسافرا سياحيا، بلا وظيفة لبعض الوقت. نعم، هذا ما يمكن أن يكونه، سائح -ربما هو يحب السفر.

الآن، هدوء، هدوء.. ستكون هذه ليلة عاقلة، لطيفة «هدوء، هدوء» أقول للساعة وأنا أديرها، وتصدر ضجيجا ما بين تجشوء وضحك.

*

الحمام هنا في الطابق السفلي، استلقي في البانيو، أسمع عامل الاستقبال يحدث أحد الزبائن، يقول بأنه يريد غرفة لسيدة صديقة له، ليس حالا، لأنه مازال يبحث.

«غرفة؟ غرفة جميلة؟»

أرى الصراصير تزحف من تحت السجادة، وتعود ثانية. هناك سجادة مزهّرة في هذا الحمام. هناك كرسيان بمسندي يد، وخزانة ملابس كبيرة جدا. مع مرآة مبقعة.

«غرفة جميلة؟» بالطبع، غرفة نوم جميلة، كما يريد الزبون، يقول موظف

Twitter: @ketab_n

الاستقبال بأن لديه غرفة جميلة جدا في الطابق الثاني، ستفرغ بعد شهر تقريبا.

بهذه الطريقة، بهذه الطريقة يحدث الأمر. بهذه الطريقة جرت الأمور... غرفة.. غرفة جميلة.. غرفة لطيفة، غرفة جميلة بحمام. غرفة مع غرفة جلوس، مع حمام. هناك في الأعالي، مع الأجنحة في الأعالي التي تثير الدوار. غرفتا نوم، غرفة جلوس، حمام ودهليز. (غرفة النوم الصغيرة في حالة أنك لا تودني، أو ربما في حالة أنك لقيت من أحببته أكثر مني وأتى متأخرا).

أي شيء تريده أحضره على عربة العشاء. (لكن، واحسرتاه! النادل لديه قملة على ياقته. ما هذا الذي على ياقته؟... لو سمحت، سيدي، لو سمحت). تأرجح عاليا.. الآن للأسفل ببطء.. غرفة جميلة بحمام، غرفة بحمام. غرفة لطيفة، غرفة...

الآن ماذا يقولون؟ «يظهر مارت اثنتي عشرة مرة» والسعر؟ أربعمئة فرنك في الشهر. أنا أدفع ثلاثة أضعاف هذا المبلغ على غرفتي، في الطابق الرابع. يبدو أنني انتهيت بكوني امرأة ناجحة. في جميع الأحوال، بأي شكل كنت قد ابتدأت، نظرة واحدة لي وترتفع الأسعار. وعندما يغلق المعرض ويغادر الضيوف، أين يجب أن أكون؟ في الغرفة الثانية طبعا -تلك التي تقع في شارع غرايز إن، كالعادة أحاول أن أثمل حتى الموت...

عندما أنطلق للطابق العلوي، الرجل في الغرفة المجاورة يكون في الخارج. يصرخ أيضا على مارت. في ثوب نومه من الفلانيل، يصل بشكل مخيف لركبتيه. عندما يراني يبتسم، يأتي لرأس السلم، ويقف هناك، يسد الطريق.

«صباح الخير، كيف الحال؟».

أسير بجانبه دون أن أجيب، وأصفق باب غرفتي، أتوقع بأن كل هذا مزحة. أتوقع بأنه يخبر صديقه في الطابق الأسفل: سائحة إنجليزية أخذت

Twitter: @ketab_n

الغرفة بجوار غرفتي، لقد استمتعت كثيرا مع هذه المرأة».

فتاة في النافذة المقابلة تتبرج. الممر ضيق جدا ونحن وجهاً لوجه، نستطيع أن نتحدث، أستطيع رؤية جوارب ملابس نسائية داخلية معلقة لتجف في غرفتها. تحيل بصرها عني ويصبح وجهها أشد قسوة. أفكر بأنني إذا ما أمعنت النظر فيها وهي تتبرج ستفعل الأمر ذاته معي عندما أكون أتبرج. أغلقت نافذتي للمنتصف وابتعدت عنها. فندق سيء، هذا مكان سيء للغاية. يجب أن أخرج من هنا. لقد رسوت هنا، فقط سأبقى هنا...

كنت للتو قد انتهيت من ارتداء ملابسي عندما سمعت طرقا على الباب. إنه المحترم بثوبه الجميل، ناصع البياض، بكمين طويلين واسعين، معلقين. أتساءل كيف يستطيع حملهما. لابد أن بعض النساء أعطينه إياه. يقف هناك مبتسما ابتسامته الغبية. أحدق فيه، يبدو كأنه قسّ، قسّ دين فاجر، نصف مفهوم.

«لاشيء» يقول «لاشيء».

«أوه اذهب بعيدا».

لا يجيب ولا يتحرك. يقف عند الباب، مبتسما (الآن أنا وأنت نفهم بعضنا أليس كذلك؟ فلنكف عن التظاهر).

أضع يدي على صدره وأدفعه للخارج، وأصفق الباب بقوة. إنه سهل بعض الشيء يشبه أن تدفع رجلا ورقياً، شبحاً، شيئاً لا وجود له.

هأنذا، في هذه الغرفة المظلمة، مع سرير للسيدة وآخر للسيد والشارع الضيق في الخارج، (ما يدعونه مأزقاً) أفكر في هذا الثوب الأبيض، يشبه رداء الواعظ، مخيف كالجحيم، شعور كالكابوس...

هذا الصباح رائحة الغرفة تشبه حماما تركيا رخيصا في لندن -المكان الذي يبدو محترما ونظيفا من الخارج. الممر يبدو مطهراً جداً والمرأة في

Twitter: @ketab_n

استقبالك تبدو بين السجانة والشماسة، والجميع يتحدث بصوت هامس، غاضين أبصارهم «رغوة أم تركي، سيدتي؟» ثم أنتِ تنزلين للحمام التركي نفسه، المكان ممتلىء بالبخار والعرق. عمره عشرون عاما على الأقل.

الراعي والراعية والخادمتان يتناولون طعامهم في الغرفة خلف المكتب. معهم بعض الأصدقاء يتكلمون بصوت عال ويضحكون.. «أنت لا تجرؤ..» قالت لي «كيف!» «أنا لا أجرؤ؟» «سترى إن قلت» «أنا لا أجرؤ؟» «سترى..» «أنا في انتظار ابنتي» «انتظار، انتظار.. ابنتي سترى إن كنت لا تجرؤ» « أخبرني هل يوفر لك الأمر ما فعلت؟» «في انتظار ابنتي...»

يطاردني صوته في الشارع «انتظري، ابنتي... انتظري».

يجب أن أجد فندقا آخر، أشعر بالمرض والدوخان. من الأفضل أن أستقل سيارة أجرة، إلى أين؟ أتذكر بأن لدي عنوانا في حقيبتي، ورقة مع صور، الصالة، المطعم، الاستراحة، غرفة نوم مع حمام، غرفة نوم بدون حمام... إلخ. كل شيء محترم جداً -هذاهو مكاني..

هناك حمال عند الباب، وعلى طاولة الاستقبال امرأة بشعر رمادي، وعتال شاب.

«أريد غرفة لليلة».

«غرفة؟ غرفة مع حمام؟».

ما أزال أشعر بالمرض والإنهاك، أقول وأنا منحنية للأمام، بثقة تامة، «أريد غرفة مضيئة».

يرفع الشاب حاجبيه وينظر لي. أحاول مرة أخرى «لا أريد غرفة تطل على الساحة الداخلية، أريد غرفة منيرة».

«غرفة منيرة؟» تقول السيدة وهي تفكر. تقلب الصفحات أمامها وتبحث عن غرفة منيرة.

Twitter: @ketab_n

«لدينا الغرفة 219 «تقول» غرفة جميلة مع حمام، خمسة وسبعون فرنكا لليلة»

(يا إلهي، لا أستطيع دفع ثمنها) «غرفة جميلة جدا مع حمام، نافذتين، منيرة جدا» تقول محاولة إقناعي.

تنادي فتاة لتريني الغرفة، قبل أن نصل إلى المصعد يقول الشاب متحدثا من جانب فمه: «تعلمين طبعا أن 219 مشغولة»

«كلا، لقد دفع 219 فاتورته قبل أمس» تقول موظفة الاستقبال «أتذكر، أعطيتها إياه بنفسي».

استمع بترقب لهذا الحوار، فجأة أشعر بأنني لابد أن أحصل على 219، مع الحمام، رقم 219. مع ستائر بلون الورد، سجادة وحمام. يجب أن أكون على طائرة أخرى في اللحظة التي أستطيع الحصول فيها على هذه الغرفة. فقط لبضع ليال. سيكون فألا حسناً. من قال بأنه لا يمكن الفرار من مصيرنا؟ أنا سأفعل. فقط امنحني الفرصة، سأهرب من قدري إلى غرفة رقمها 219. 219 فقط جربني، فقط.

«طلب فاتورته» قال الشاب بصوت متهدج مليء بالسخرية. «لقد طلب فاتورته ولكن لا يعني بأنه غادر».

بدأت عاملة الاستقبال في الجدال، «عندما يطلب الناس فواتيرهم فلأنهم سيغادرون، أليس كذلك؟».

«نعم» يقول «الفرنسيون يفعلون، أما الآخرون فيطلبونها ليتأكدوا بأننا لم نغشهم».

«يا إلهي» تقول الموظفة. «الغرباء، الغرباء.. يا إلهي..»

يستدير الشاب، ليبعد نفسه تماما عما يحدث.

Twitter: @ketab_n

الرقم 219 -حسنا، أعرفه جيداً. طوال الوقت الذي كانوا يتحدثون فيه كنت أراه -بنطاله، حذاءه، كيف يمشط شعره، وأنواع الفتيات اللاتي يعجبنه، حقيبته باللون الأصفر الفاتح، ولديه كرش، لكنني لا أستطيع رؤية وجهه. هو يرتدي قناعا، رقم 219...

«أر السيدة رقم 334»

الفتاة التي تبدو كسيدة، جميعنا سيدات هنا، جميعنا سيدات -تأخذني عبر المصعد إلى غرفة مفروشة بشكل مريح تطل على جدار عال فارغ.

«لكنني لا أريد غرفة تطل على الداخل، أريد غرفة مضيئة».

«هذه غرفة منيرة جداً» تقول الفتاة، وهي تضيء المصباح إلى جانب السرير. «لا» أقول أنا «أقصد غرفة منيرة، واحدة منيرة، ليست مظلمة» تحدق بي، أعتقد بأنني بدوت مجنونة قليلا، أقول: «نعم... شكرا جزيلا -لكن لا».

تحاول عاملة الاستقبال الجدل حول غرف أخرى لديها، غرف جميلة. «نعم، نعم... سأهاتفك» وأهرع للخارج.

غرفة جميلة مع حمام؟ غرفة مع حمام؟ غرفة لطيفة؟ غرفة؟... لا أحد يقول الحقيقة حول هذه الغرف التجارية. وإلا سيوقع السقف على النظام الاجتماعي بأكمله. كلها غرف متشابهة، لها أربعة جدران، باب، نافذة أو اثنتان، سرير، سرير وربما حوض لغسل المناطق الحساسة. الغرفة هي مكان للاختباء من الذئاب في الخارج. هذا كل ما تعنيه لي غرفتي. فلم أحاول استبدالها؟

عندما عدت إلى الفندق بعد أن تناولت بعض الطعام. كانت تبدو جيدة، رائحتها محترمة كما يجب. تخيلت هذا كله. كل هذه كانت تهيؤات..

Twitter: @ketab_n

نسخة من ملحق التايم الثقافي تطل بخجل من أرفف المجلات. سيدة أمريكية بشعر أبيض تحدث فتاة تبدو كابنتها في الصالة.

«انظري هنا، انظري لهذا، لوحة بورتريه لريمبود. ريمبود عاش هنا، كما تقول».

«وهنا فارلين... هل عاش هنا أيضا؟».

«نعم لقد عاش هنا أيضا، كلاهما عاش هنا، عاشا هنا معا، حسنا، أليس هذا مدهشا؟».

المحترم هنا. ينظر لي ثم يذهب لغرفته ويغلق الباب. حسنا، لا بأس. إذا ما حاولنا أن نتفادى بعضنا، سنتمكن من التعايش معا.

ترحب الغرفة بعودتي.

«ها أنت ذي» تقول «لم تذهبي إذا؟».

«لا، لا. لقد فكرت في الأمر جيداً، هنا أنتمي، وهنا سأبقى..».

*

كان دائما يطلق على هذا البار اسم الخنزير والسوسنة، لأن المالك كان اسمه بيكانيللي. إنه في أحد هذه الشوارع خلف محطة مومبرناس. يبدو كحانة إنجليزية. لا أعرف لم لا أعود لزيارته. لم أقم بأي شيء ملفت للنظر هناك، أنهار أو أبكي. حتى الآن وحسب علمي فإن لدي صفحة ناصعة جداً هناك.

كنا نذهب هناك، ونحتسي بضع كؤوس نأكل النقانق، ونتحدث عن الحرب القادمة أو شيء من هذا القبيل. أقصد لا شيء لأبكي عليه...

« نحن؟» لقد كان واحدا من هؤلاء ذوي الوجوه الطويلة النحيفة جدا، وعينين زرقاوين شاحبتين. بعد أن عمل في مكتب مانشستر للشحن حتى بلغ الخامسة والعشرين، ترك المكان وأتى إلى باريس. يدرس لنيل درجته

Twitter: @ketab_n

الطبية من الجامعة. قريب محب كان يمنحه المال، -ذلك كان جانباً من الحكاية. الجانب الآخر من الحكاية أنه كان يكسب المال من لعب الورق. ربما كان الأمر صحيحا، وبهذا كان يلعب الورق بشكل جيد.

كان يحب المهرجانات الشهيرة. مهرجان (نوبي)، مهرجان مونماتر، حتى اللعبة الدوارة في ليون دي بلفورت. وقد علّم نفسه بشكل مؤلم أن يحب الموسيقى، باخ طبعا، كان موسيقيه المفضل. الآخرون كما يقول يفضل أن يقرأهم لا أن يستمع إليهم. «الألحان التي نسمعها جميلة، وتلك التي لا نسمعها أجمل» -هذا النوع من الأشياء. كان كقضمة سمكة، بالفعل، أحيانا يجعل دمي يجري باردا، وبالرغم من وجهه النحيل الطويل لم يكن حساسا.

في يوم من الأيام قال لي: «سآخذك لتري شيئا أكثر من مدهش» وأثناء السير في الطرقات خلف (الهالز). ذهبنا إلى مقهى يدفع الزبائن فيه ليس للشرب بل للنوم. يجلسون متراصين وأذرعهم على الطاولات، كل جزء من الغرفة كان ممتلئا، آخرون مستلقون على الأرض. كنا نحدق فيهم بعينين نصف مغمضتين من النوافذ. «هل تودين الدخول وإلقاء نظرة عليهم؟» يقول، كما لو كان يستعرض كثيرا من القردة. لا بأس، الحارس هنا يعرفني بإمكاننا الدخول، يتواجد رجل ما هنا دائما، إن منحته بضع كؤوس من الشراب يحاول أن يأكل كأسه، مثير للفضول حقا، يجب أن تري هذا».

عندما قلت: «ولا بأي ثمن» فكر بأنني ربما خجلت أو أصبحت عاطفية. «حسنا» قلت «حسنا يسعدني أن أراك تلتهم كأسك» لم يعجبه الأمر البتة.

وصلت وأنا أفكر بهذا الفتى وأجبرت نفسي على الدخول لغرفة ممتلئة بالناس. لكن الآن المكان فارغ -ميت تماما، كمسمار في باب، هناك مالك جديد -رجل سمين أصلع، مع أنف ألماني، هو هنا منذ عامين فقط.

Twitter: @ketab_n

تخصصهم الآن الطعام الجاوي، ومشاهد الصيد الإنجليزية تبدو حقيقية جدا على الجدران... تالي-هو، تالي-هو، تالي-هو، للصيد سنذهب.. الأصوات الباردة، الأصوات الواضحة... عيون فاتحة... تالي-هو... تالي-هو، تالي-هو...

ثلاثة أشخاص دخلوا، رجلان وفتاة، أحد الرجلين يحدق بي، يقول للفتاة: «هل المرأة العجوز...؟» الآن عمن يتكلم؟ عني؟ مستحيل. أنا - المرأة العجوز؟

الفتاة تقول: «المرأة الإنجليزية؟ لا، لا أعرفها، لم تتصور بأني قد أعرفها؟».

هذا كما ظننت وأسوأ مما ظننت، امرأة عجوز إنجليزية مجنونة، تتسكع في مونتبرانس «في باريس هناك أخطاء... أوه نعم، أوه نعم... كل شيء يبدو مسطحا.. أوه نعم، أوه نعم» إن هذا أسوأ مما تخيلت.

أحدق في الشاب، يشعر بالخجل ويشيح بعينيه، ليس فرنسيا..

هذا بالتأكيد أسوأ مما تخيلت، هذا ما قيل لي عندما ذهبت إلى لندن في ذلك الشتاء الشهير قبل خمس سنوات. «لم لم تغرقي نفسك؟» يقول الشيطان الصغير. «في السين؟» في السين، أسألك -ولكن هذا ما قاله للتو. هذا هو الشعور الملائم. ولكن كيف له أن يقوله بهذه الطريقة، التحدث عن كونك ميلودراماتيكيا، «نحن نعتبرك ميتة، لم لم تعملي حفرة في الماء؟ لم لم تغرقي نفسك في السين؟» تتوالى هذه العبارات تباعا من لسان هذا المحترم. هم يفكرون بها كمقطع شعري عاطفي. وهذا ما يخيفك منهم. هذه ليست قسوتهم، ليست حتى نباهة منهم، إنها سذاجتهم المريعة. كل شيء في عالمهم اللعين هو مكرر. كل شيء يولد من التكرار، يسكن في التكرار، ينقذ بالتكرار، وهم يؤمنون بالتكرار ميؤوس منهم.

Twitter: @ketab_n

ثم هناك المربى من بعد الدواء، من المفترض أن أستلم رسالة من مجهول كل ثلاثاء فيها باوندان وعشر سنتات. شيء تاريخي، الأصل ثابت لا يمس... «من؟».

عندما سمعت كنت متفاجأة جدا، - لم يكن من المفترض بأنها أحبتني حقا. «يجب أن تعتبري نفسك محظوظة جدا» يقول، وعندما رأيت التعبير في عينيه عرفت تماما لم فعلت هي ذلك. لقد فعلته لتزعج بقية العائلة.. وطبعا من المستحيل أن تخبرني بذلك من قبل، ولأنهم لم يعرفوا لي عنوانا، لم يكن هناك ما يقال سوى: مع السلامة، ومن فضلك لا تسافري فوق سجادة مثقوبة.

هذا يشبهه كثيرا، فكرت، إنه يرفض أن يدعوني ساشا، أو حتى صوفيا. لا، إنها صوفيا ممتلئة وكبيرة.

لم لم تغرقي نفسك في السين يا صوفيا؟..

«صوفيا ذهبت للأسفل حيث يجري النهر- صوفيا المتمردة، المتمردة...»

تلك كانت نهايتي، نهايتي الحقيقية باوندان اثنان وعشرة سنتات، كل ثلاثاء وغرفة في شارع غريز ان.

أنقذت، ومع مكاني المناسب للإختباء، ما الذي أريده أكثر؟ تسللت واختبأت.

صوت إغلاق التابوت كان عالياً. الآن لا أود أن أُحب بعد الآن، أن أكون جميلة، سعيدة، أو ناجحة. كل ما أريده هو أن أترك وحيدة، لا مزيد من الخدوش، لا مزيد من التطفل- اتركوني وحدي... «سيفعلون ذلك بالتأكيد، عزيزتي».

«في البداية كنت أخشى أن تصفق البوابات من خلفي، كنت أقلق من الغرباء والأماكن التي لا أعرفها» اقتباس من «السيرة الذاتية لفرس» واحد

Twitter: @ketab_n

من كتبي المفضلة... نحن الإنجليز على وعي كبير بالحيوانات. نعرف غريزيا كيف تشعر الحيوانات ولم تشعر بذلك...

عندها لمعت عندي هذه الفكرة؛ بأن أشرب حتى الموت، خمسة وثلاثين باوندا من الارث متراكمة. كما يبدو بأنها كانت على وشك أن تفعل فعلها.

جربت ذلك أيضا، كنت قد اكتفيت من هذه الشوارع التي تتعرق لعابا باردا، أصفر. من الناس العدائية، من البكاء حتى النوم كل يوم. اكتفيت من التفكير والتذكر، الآن ويسكي، روم، جن، شيري، بيرة فيرموث، نبيذ معبأ بزجاجة مختومة بماركة (دوم فيفيمس)... «اشربي، اشربي، اشربي ... كلما صحوت، عدت مرة.. أخرى، أحيانا يجب أن أرغم نفسي إرغاما، ستفكر بأنني ربما أصبت بالهذيان الارتعاشي أو شيء من هذا القبيل.

لاشيء، يجب أن أكون صامدة كشجر السنديان. ماعدا عندما أبكي. أرى وجهي في النهاية يتحطم -خدودي تنتفخ للخارج، عيوني تصغر.

لا تقلقي، «عندما نعيش دعنا نعيش» تقول زجاجات النبيذ. عندما نعطي، دعنا نعطي. كذلك إنه ليس وجهي هو قناع معذب. بإمكاني خلعه متى أردت وتعليقه على مسمار. أو أعلق عليه قبعة بريش أخضر. أو ربما أعلقه كخمار وأسير في الشوارع سعيدة؟ أغني بالتأكيد لا أعجبك ولا تعجبني أيضا، «لا أحب المربى، لحم الخنزير أو الضأن، ولا أحب لعبة رولي بولي...» أغني «نهر واحد أخير لأعبره، هو الأردن، هو الأردن..»

ليس لي كبرياء، لا كبرياء -لا اسم، لا وجه، لا وطن. لا أنتمي لأي مكان، حزينة جداً، حزينة جداً... لايهم، ها أنذا كقشة تطير على أطراف دوامة وفي النهاية تبتلع في المنتصف، حيث كل شيء راكد، كل شيء هادئ. باوندان -وعشرة سنتات، أسبوع وغرفة على شارع غريز إن...

كل هذا الوقت أنا أقرأ القائمة مرة بعد مرة، كان هذا المكان حيث

Twitter: @ketab_n

بإمكانك الحصول على بعض النقانق فقط، تشكروتي، ستيك فيينا، لحم أرانب من ويلز، أشياء من هذا القبيل. الآن يبدو أكثر رقيا، «أطباق خصوصية، (جافانايز للشخص -لا يتجزأ): ريستافل كامل (16) طبق بـ25.00، ريستافل صغير (10 أطباق) بـ 17.50، ناسي غورنيه بـ 12.50...».

خلفية القائمة مغطاة برسومات لنساء صغيرات و«أرسل المزيد من المال، المزيد من المال» مكتوبة مرة بعد مرة. أبهجني هذا الأمر. أفكر في كل أسلاك -التليغرام تهسهس، «أرسل المزيد من المال» بالرغم من كل شيء الأسلاك في باريس تصدر هسيساً «أرسل المزيد من المال» .

الثلاثة على الطاولة المجاورة يتحدثون عن سباق الأحصنه، الرجلان ألمانيان.

أخرج قلم رصاص من حقيبتي، كتبت في زاوية القائمة: «هل تفهم ذلك؟ أرجو أن تفهم. أرجو أنك فهمت ذلك، نعم لقد فهمت» طويت القائمة ووضعتها في حقيبتي كتذكار صغير.

يفتح الباب، خمسة صينيين يدخلون. يسيرون حتى نهاية الغرفة بشكل أحادي ويقفون هناك، يتبادلون الحديث. ثم يسيرون للخارج بطريقة رسمية مرة أخرى. يبتسمون بأدب. يتمتم المالك قليلا، ثم يتظاهر بترتيب الشوك والسكاكين على طاولة مجاورة. ويخبرنا بأنهم قبل أن يطلبوا الشراب، طلبوا رؤية النار مشتعلة في المنقل المفتوح، شيء من الأجواء الإنجليزية القديمة. كانو يريدون رؤية اللهب يتراقص. لمدة طويلة، يقول: عرفت أن كل من في مومبرناس مجانين، لكن هذه هي القشة الأخيرة. «الجميع غارق» بصوت يائس، «الجميع، الجميع، الجميع... كلاب..».

لم أكن حزينة تماما وأنا عائدة إلى الفندق. عندما أفكر كيف من الممكن أن يقاد الفرد بشكل جيد، «يا إلهي» لبقيت بغير تغيير وكما أنا في لندن.

Twitter: @ketab_n

وأفكر كيف أن لهذا المكان تأثيره العجيب علي. توقعت ذلك لأن الشراب أفضل بكثير.

لا، لست حزينة، ولكن عندما أصل لبولفراد سانت ميشيل أكون قد تعبت. أسير إلى هنا غالبا و أشعر بالتعب... هنا النافورة حيث الجياد الجميلة التي تتقافز. هناك حيث دكان التبغ يمكنني الحصول على مشروب بالقرب من هذا التمثال الجميل من الكينين.

هناك رجلان أتيا من الخلف وسار كل منهما عند أحد جانبي، أحدهما يقول: «لم أنت حزينة جداً؟».

نعم أنا حزينة، حزينة كلبؤات السيرك، حزينة كصقر بلا أجنحة، حزينة ككمان بوتر واحد مقطوع، حزينة كامرأة تطعن في السن. حزينة، حزينة، حزينة... أو ربما لو قلت فقط «تفاهة» سيكون هذا كافيا بالتأكيد.

لا أتكلم ونسير معا في صمت. ثم أقول: «لكني لست حزينة. لم تظن بأني حزينة؟» أهو طقس ما؟ هل يجب أن أجيب على نفس السؤال بنفس الإجابة؟وقفنا تحت مصباح آخر، لنحزر جنسيات بعضنا، كما يقولون، رغم أنني توقعت الأمر ليأخذوا نظرة أقرب لي. هم بلباقة لم يستطيعوا التخمين. هل هما ألمانيان؟ لا، إسنكدنافيان، ربما؟ لا القصير قال بأنهما روسيان. عندما سمعت ذلك وافقت على الفور على الذهاب معهما لتناول الشراب. روس -هذا من شأنه أن يلطف المساء...

هناك مقهيان متقابلان على هذا الشارع قريبا من فندقي -أحدهما مالكه عدائي. والآخر مالكه محايد. لابد أنني كنت ثملة قليلا، لأنني قدتهما للمقهى الخطأ.

حياتي، التي تبدو بسيطة جداً وعلى وتيرة واحدة، هي عبارة عن علاقة معقدة مع مقاهٍ تحبني وأخرى لا، شوارع لطيفة، وأخرى لا. غرف من الممكن

Twitter: @ketab_n

أن أكون سعيدة فيها وأخرى لا يجب أن أتواجد فيها البتة. مرايا أبدو فيها جميلة، مرايا لا. ملابس تجلب لي الحظ، وأخرى لا تفعل.. وقس على ذلك.

عموما، محقة قليلا، في الجانب الخطأ من الشارع، في المقهى العدواني. ليس هذا ما يهم، لأنني لست وحدي.

أحدهما، الأصغر سنا، وسيم بطريقة لطيفة، حزينة ربما، هو تقريبا يشبه هؤلاء الجواسيس في الأفلام الألمانية في الأعوام الماضية. إنها استدارة رأسه.

الآخر قصير ومقبول، بعينين زرقاوين جدا. يرتدي النظارة الأنفية. لابد أنه الأكثر مرحا بين الاثنين، لأنني وجدت نفسي أنظر إليه وأحدثه معظم الوقت.

الحديث الاعتيادي... أن أقول بأنني لست حزينة، أخبرهم أنني سعيدة جدا، مرتاحة جدا، غنية بما يكفي، وأنني هنا لشراء الكثير من الملابس التي سأدهش بها أصدقائي -أصدقائي الكثر.

الرجل القصير، الذي يبدو كطبيب، يود أن يصدق بأنني سعيدة، ولكنني لست غنية بما يكفي. كان يلاحظ، كما يقول بأن النساء الإنجليزيات لديهن تعابير كئيبة. لا تعني شيئا. الآخر كان مأخوذا بمعطف الفرو، كما أرى، هو يود أن يصدق بأنني ثرية، ولكنه يقول مرة أخرى بأنه لا يظن بأني سعيدة. الرجل القصير لابد وأن يكون أكثر حكمة. الآخر مثلي، لديه مشاعره وهو متمسك بها. وهو الذي بادر بالحديث: «أشعر بحزن عظيم فيك» يقول.

تعاسة، يالها من كلمة رائعة! تعاسة، بعد، كآبة، يأس، يأس... والآن بحق الله استمع لهذا الحوار، الذي، بعد الشراب الثاني، يبدو بأنه عن الآلهة، والإلهات. «ستغضب السيدة فينوس» يقول القصير، ملوحا بإصبعه أمامي.

Twitter: @ketab_n

«أوه، هي!» أقول أنا «لم أعد أحبها، لقد حاكت لي الكثير من المكائد القذرة».

«لقد فعلت ذلك للجميع، بنفس الطريقة، احذري منها... أي إله يعبدون في إنجلترا، أي إلهة؟».

«لا أعرف لكنها بالتأكيد ليست فينوس، أحدهم كتب مرة أنهم يعبدون إلهة -عاهرة. هي بالتأكيد ليست فينوس».

ثم تكلمنا عن القسوة. نظرت إلى البعيد بنظرة فارغة وقلت «الإنسان كائن قاسٍ، في شدة القسوة».

«لا أبدا» قال الأكبر سنا غاضبا، «أبدا، هذه نظرة قصيرة المدى جدا، الإنسان في حالة صراع، لذلك هو مغرور، لكن من المجحف القول بأنه قاس، هذه وجهة نظر غير صحيحة..».

مضى هذا الحديث لبعض الوقت، ثم تلاشى. الآن تناقشنا حول الحب، القسوة، ثم تكلما عن السياسة. لا يوجد أكثر من هذا لنتناقش فيه.

«سنلتقي مرة أخرى أليس كذلك؟... بالطبع، يجب أن نلتقي. سيكون من المؤسف ألا نلتقي مرة أخرى. أليس كذلك؟ هل سألتقيهم غدا في مطعم بيكين لتناول الغداء؟ أفكر بأنني لا يجب أن أتناول الطعام الصيني في الثانية عشرة والنصف غدا ظهرا. اتفقنا على اللقاء في مطعم دوم في الرابعة عصرا.

أوصلاني لباب فندقي، تذكر الأصغر أنني نسيت قائمتي -كنت أريهم إياها، صور النساء الصغيرات، و «أرسل المزيد من المال، أرسل المزيد المال» -وذهب لإحضارها.

«لا تتعب نفسك، أنا لا أريدها حقا».

لكنه ذهب قبل أن أتمكن من إيقافه. لابد أن احتفظ بها. إنه القدر.

Twitter: @ketab_n

مرة أخرى أستلقي دون أن أنام. أقاوم رغبة عظيمة في الذهاب إلى صالون للشعر في الصباح لصباغة شعري.

*

عندما خرجت من الفندق في صباح اليوم التالي، تقدمت مني امرأة عجوز وطلبت بعض المال، أعطيتها فرنكين. عندما شكرتني نظرت مباشرة في عيني بنظرة تهكّم.

عندما عبرت المخبز في زاوية الشارع، خرجت منه، مع قطعة خبز كبيرة. تبتسم لي وتلوح بيديها بسعادة. لوحت لها أنا أيضا. للحظات هربت من نفسي. لكنها اختفت في شارع جانبي، لتأكل قطعة الخبز، ثم فكرت مرة أخرى في صباغة شعري. عبرت المطعم الإيطالي، عبرت ثيودورز، إنه طريق طويل إلى المكان الذي أتناول فيه طعامي عادة.

أتردد للحظة، أعود للوراء، أحاول تجنب ثيودورز، من الممكن أن يتعرف علي، من الممكن أن يظن بأنني تغيرت، من الممكن أن يقول ذلك.

جلست في الزاوية، لا أشعر بالارتياح. هو لم يتغير أبدا، ينظر لي من أقصى الغرفة من خلف البار بنصف ابتسامة. لقد تعرف علي... على غير المتوقع. بالإضافة إلى ذلك، ماذا لو فعل، لماذا أهتم بالأمر؟ لا يستطيعون قتلي. أليس كذلك؟ أليس كذلك؟ أيضا، أليس كذلك؟

اليوم يجب أن أكون حذرة جدا، اليوم نسيت سلاحي في المنزل.

ثيودور أغلى سعرا من بقية المطاعم في المنطقة وهو ليس ممتلئا عادة. أرى الفتاة التي أمامي تقطع اللحم في صحنها. تأخذ قطعة بشوكتها، وتضعها في فمها الدقيق. هو يتناول الطعام، يؤكد اللذة، بكل قوة ممكنة، يبحث عن أفضل قطعة في صحنه ويناولها إياها. في أي لحظة تتخيل هذا.. الاثنان يضربان أجنحتهما ويبدآن في النقيق.

Twitter: @ketab_n

هنا أيضا اثنان في منتصف العمر مع مناديلهم تحت ذقونهم وامرأة جميلة مع زوجها -زوج، أعتقد وليس حبيبا.

كل هؤلاء الناس يرمون بأنفسهم علي. لأنني حزينة ولا أشعر بالراحة جميعهم يلقون بأنفسهم علي أكثر مما تفعل الحياة. بإمكاني أن أصدهم بيدي لتحاشي أثرهم وسوف ينزلقون بسهولة نحو الأرض. أشخاص فردانيون ملتفون تماما على أنفسهم، الحمد لله. إنه المنفتح، ذلك الذي يتقافز أمامك، يكاد أن يموت لأجل لحظة من المتعة، هذا هو الشخص الذي يجب أن تحذره.

طلبت سمك موسى ونبيذاً أبيض، أتناول الطعام وعيناي مثبتتان في صحني، الشعور بالرعب يتعاظم فيّ (قلت لك ألا تأتي إلى هنا، قلت لك) في النهاية، بعض القهوة، أتمنى لو أنني لم أكن أجلس بعيداً هكذا عن الباب، على العموم إنه على وشك أن ينتهي، قريبا سأكون في الشارع خارجاً، وسأشعر بتحسن.

أشعل سيجارة، وأحتسي القهوة ببطء. وأنا أفعل ذلك تدخل فتاتان- إحداهما طويلة، بشعر أحمر، وأخرى صغيرة الحجم ممتلئة وداكنة. ملابس رياضية، بلا قبعات، إنجليزيتان. ثيودور يتمايل لطاولتهما ويتحدث إليهما. الفتاة الطويلة تتحدث الفرنسية بطلاقة. لا أستطيع أن أسمع مايقول ثيودور. لكنني أرى فمه والوجه المستدير العظيم تحت قبعة الطاهي الطويلة يتحركان.

الفتاة الطويلة تستدير وتحدق بي: «يا إلهي!» تقول.

ثيودور يستمر في الحديث، ثم يستدير هو الآخر لينظر لي، «أها.. كانت تلك أيام..!» يقول.

«وما الذي تفعله الآن هنا؟» تقول الفتاة بصوت عال.

الآن كل من في الغرفة يحدق بي، كل العيون في الغرفة مثبتة علي. لقد حدث الأمر.

Twitter: @ketab_n

أنا هادئة، لكن يديّ بدأتا ترتجفان بعنف، يجب أن أضع كوب القهوة.

«الجميع» قال ثيودور، «يعود لباريس، دائما» ثم يعود لمكانه خلف البار.

أبذل مجهودا جبارا للنظر في وجه الفتاة، تشيح بوجهها فوراً وتبدأ في الحديث عن الطعام -طرق كثيرة لطبخ الدجاج، الأخرى تستمع بمنتهى الاهتمام لكل كلمة.

شعرها الأحمر مسرح بدقة حول جمجمتها الصغيرة. صوتها قوي وواضح. تلك الأصوات التي تشبه المريول، صغيرة، بلا معنى.. تلك الأصوات التي يتم تسديدها كأسلحة.

يالها من لغة! أخذا باعتبار أن ما يجب أن يبدأ به الكلام كان: «ما الذي تفعله هنا؟» أخذا باعتبار أنه ما يجب أن يبدأ به، ذلك بالتأكيد ما قلته أنت. يالها من لغة، يالها من لغة!

ماذا يمكن أن يقوله دبنهامز أو فري بودي؟ أو هارفي نيكولز؟

حسنا الجميع أخذ نظرة جيدة وقصيرة لي. نظرة غير موافقة للفتاتين، والجميع عاد لتناول طعامه مرة أخرى.

«آه! إنها مجروحة، الإنجليزية المجروحة..» كما قال الرجل في باص كروس دي كين.

لكنه طاعون يدفع المال، عزيزتي، طاعون يدفع، وبفرح، بفرح شديد الحياة تستمر.. «مجروحة.. الإنجليزية المجروحة».

يقول، ويأخذ زفرة عميقة.

تمر النادلة عند طاولتي وأطلب الفاتورة.

«مازالت هناك بعض القهوة، سيدتي، هل تودين المزيد؟» تبتسم لي. بدون أن تنتظر إجابتي تقوم بسكب المزيد في قدحي. تشعر بالأسف تجاهي،

Twitter: @ketab_n

تحاول أن تكون لطيفة.

أشعر بحلقي يغلق، وعينان مثبتتان. هذا مريع، الآن أنا سأبكي. هذا هو الأسوأ... إذا ما فعلت ذلك يجب أن ألقي بنفسي تحت عجلات الباص عندما أخرج.

حاولت التفكير في أي لون سأصبغ شعري، وأتعلق بهذه الفكرة، كما تتعلق بقشة وأنت تغرق. هل يجب أن أصبغه بالأحمر؟ هل يجب أن أصبغه بالأسود؟ الآن، أسود -سيكون مذهلا. هل يجب أن أصبغه أشقر رمادي؟ لكن الأشقر الرمادي هو الأصعب بين الألوان سيدتي. من النادر جدا جدا أن يتم صباغة الأشقر الرمادي بشكل صحيح سيدتي.

إنه أصعب حتى من الأشقر البلاتيني. يجب أن يبيض الشعر أولا. هذا ما يقال، يجب أن يسحب اللون من الشعر أولا. ثم يصبغ، وكما يقال يجب أن نضع لونا آخر (أتعلّم عن الشعر... وماذا بعد؟).

أنهي قدح القهوة، أدفع فاتورتي وأخرج. من الممكن أن أدفع حياتي كلها ثمنا لأستطيع القول «كلمة واحدة لك» عندما مررت بجانب الفتيات. سأدفع كل حياتي ثمنا لأستطيع أن أمنحهم نظرة باردة. ولكن لا أستطيع الكلام ولا أستطيع حتى النظر إليها، فقط خرجت.

لا تقلقي.. ذات يوم، بهدوء مفاجئ حيث لا تتوقعين ذلك.. سأستل مطرقة من بين جيب معطفي الأسود وأهوي بها على جمجمتك الصغيرة كما أفعل بقشر بيضة سيسيل كل شيء. الدم، المخ. يوما ما، يوما ما ... الذئب الذي يسير إلى جواري سينقض عليك، ويخرج أحشاءك من الداخل. يوما ما، يوما ما، الآن.. الآن.. برفق... بهدوء، بهدوء...

يخرج ثيودور من خلف البار ويفتح لي الباب. يبتسم، عينا الخنزير تلمعان. لا أعرف إن كانت نظرته حزينة (وهذا ينطبق علي أيضا) أم أنها

Twitter: @ketab_n

معتذرة (لا يقصد سوءا)، أما أنها وظيفته فقط.

ماذا عن برنامج بعد الظهر؟ هذا هو الأمر. أن تكون لدي خطة وأن ألتزم بها. أمر واحد ثم آخر، وسينتهي كل شيء قبل أن تعلم أين أنت الآن.

لكن ساقاي تشعران بالوهن، ماذا؟ هزمت منذ الآن؟ بالطبع لا... لا، لا أبدا، لكني أفكر بأنني سأقطع الشارع وأجلس في حديقة لكسمبورغ لبعض الوقت.

أجمع الأمور، وأناقشها...

كل ما حدث كان التالي: ثيودور قال للفتاة: «توجد منافسة لك هنا»، وقالت الفتاة: «يا إلهي!» ثم ربما قال لها ثيودور «أتذكرها، كانت تأتي لهذا المكان كثيرا في السنين الماضية أها... تلك الأيام.» وهذا وذاك... ثم قالت الفتاة: «ما الذي تفعله هنا؟» جزئيا ربما لأن شكلي لم يعجبها، ربما لتظهر كم أنها تجيد الفرنسية وربما لأنها ظنت أن ثيودور هو اكتشافها الشخصي. (لكن يا عزيزتي، سيدتي الفاضلة، كان ثيودور يحبو مع الإنجلو-ساكسون منذ خمسة عشر عاما مضت حسب معلوماتي الأكيدة. وربما أكثر من ذلك بكثير). هذا كل ما حدث، لم يجب أن أفكر به أنا؟.. لكنني لست كذلك.. لست كذلك.. هل من الممكن أن أفعل شيئا عندما يبدأ قلبي في الخفقان؟ عندما تصبح يداي باردتين؟

أدير الكرسي باتجاه البحيرة، حيث يقوم بعض الأطفال بإبحار سفنهم. ليس بإمكاني الآن إلا أن أرى الرهافة، أشجار ممتدة. تبدو شابة هذه الأشجار. هذا مكان رقيق -مكان رسمي رقيق، ليس حزيناً أبداً، إنه ليس مختلا حتى.

يأتي المراقب ويبيعني تذكرة، الآن كل شيء قانوني. لو أن أحدا قال: «ما الذي تفعلينه هنا؟» أستطيع أن أريهم التذكرة. هذا قانوني... أشعر بالأمان،

Twitter: @ketab_n

وأنا ممسكة بها بإمكاني البقاء هنا قدر ما أريد. أفكر في كل شيء بهدوء تام، بلا أشخاص تتطفل علي.

«ليلة البارحة واليوم» كلمتان تشكلان جملة جيدة جداً... ما الذي تفعلينه هنا أيتها السيدة العجوز؟ ماذا يفعل الشيطان هنا؟ (تترجم كلماتها بأدب). ما الذي تفعله هنا، تلك المرأة العجوز؟ ما الذي تفعله هنا هذه الغريبة، الكائن الغامض العجوز؟ أنا أتفق تماما، تماما. لقد رأيت ذلك في عيون الناس خلال حياتي. أنا أسأل نفسي بحق الشيطان، ما الذي أفعله هنا؟ دائما أسأل نفسي.

أشخاص كبار في السن يعبرون، نساء رثات الملبس، وبين كل فينة وفينة تمر واحدة ملونة بطريقة مبهرجة في معطف كبير من الفرو. رجل يمر متهاديا كديك. يدفع أمامه عربة أطفال. هو ملتفّ بشكل جيد في معطف أسود. وشاحه مرتب تحت ذقنه. ثم رجل آخر، هيئته تشبهه تماما، يداعب فتاة صغيرة بالكاد تمشي. يصرخ عليها: «هناك قطرة على أنفك» تركض الفتاة بخوف لذيذ ويركض خلفها بخطوات صغيرة مترددة. يختفيان بين الأشجار وأسمعه ينادي: «تعالي، هناك قطرة على أنفك... هناك قطرة على أنفك».

كل شيء على ما يرام، لست حزينة، لكنني بدأت أفكر في تلك القطة.

لقد حدث هذا في لندن، والقطة كانت ملكا لزوجين في الشقة في الطابق العلوي -حلاق شعر ألماني وزوجته الإنجليزية. تعاني القطة من عقدة النقص وهوس الاضطهاد والحنين إلى الطين، وبإمكانك أن ترى كل ذلك في عينيها، في تلك العينين الرهيبتين. كانت تعلم قدرها جيدا، هزيلة جداً هزيلة ومسكونة. ذكور القطط كلها عليها كالساعة الواحدة، لديها جرح على رقبتها، وهذا الجرح كان يسوء يوما بعد يوم. «مقرف» قالت زوجة الحلاق الإنجليزية. «يجب أن تبعد هذه القطة» والقطة تستشعر كل ذلك. نزلت إلى

Twitter: @ketab_n

غرفتي في الأسفل، وقفت عند الجدار تنظر لي بتلك العينين الرهيبتين، وبذلك الجرح على رقبتها. لم تكن تأكل، تتأثر بالمداعبات فقط. كانت مختبئة في زاوية الغرفة، تحدق بي. بعد مرور بعض الوقت لم أستطع تحمل كل ذلك، وأرشدتها للخارج. بكل هدوء خرجت وهي تنظر لي بتلك العينين. ثم انطلقت كسهم على السلالم إلى الأسفل. كنت أفكر فيها كل اليوم، وفي المساء استبد بي التفكير: «بأنني طردت تلك القطة من غرفتي، هل هي بخير يا ترى؟» أوه، ألم تسمعي؟ لقد دهست. السيدة جرينر كانت تود أخذها للصيدلي، وانطلقت في الشارع حيث دهست بسيارة أجرة.

أخرجت المرآة من حقيبتي ونظرت لنفسي، كنت أفكر أنني سألتقي الروسي في الساعة الرابعة عصراً في دوم. هو واحد من هؤلاء الأشخاص بعينين زرقاوين براقتين، ويبدو متفائلا.

سنجلس في دوم ونتحدث عن العقل، والتفاعل الإنساني الطبيعي. سيقول: «لا لا، ليست قسوة -فقط أنانية، إنهم لا يعنون ذلك» سيوضح فقط بأنني مخطئة فيما يتعلق بعقلنة الأمور.. ربما...

هناك هالات تحت عيني، جالسة على الشرفة في دوم، أشرب البيرنود، وأفكر في العقل، بكل تلك الهالات السوداء تحت عيني.

أسمع ساعة تدق وأعد الدقات، إنها الرابعة.

«لا شكرا» أفكر «لا يمكنني أن أتسكع في دوم وأنا أبدو بهذا الشكل -لا شكرا».

أشعر بالندم فوراً، ربما سيقول شيئا لمواساتي...

أنا خاوية من كل شيء، من كل شيء ما عدا تلك الرقة في داخلي، ذلك الضعف في سيقان الأشجار والرقة، أشباح ضعيفة في غرفتي «الحزن أفضل من الفرح» في الزجاج الآن، عيناي تشبهان عينا تلك القطة. أجلس بلا

Twitter: @ketab_n

حراك، ولست حزينة.

بدأ الظلام يحل، الأبواب تغلق «ما الذي تفعله هنا، العجوز؟» انهضي ... انهضي، سيري... سيري لم أنت حزينة؟

لابد أن أذهب في الغد وأن أصبغ شعري. أعرف الرجل الذي سأذهب إليه. اسمه فليكس. لكنني لست متأكدة من الشارع. عموما إذا ذهبت إلى جاليريز لافاييت سأعرف الطريق حتما.

عندما تدخل إلى الغرفة يكون فليكس جالسا خلف المكتب، بشعر مموج، وجه حساس، يدين جميلتين، يرتدي معطفا أسود من المخمل، فنان كامل، المنافس الوحيد لتوان.

في نافذة محله صورة كبيرة مع نقش. «إلى السيد فليكس الذي أبقى شعري جميلا لمدة طوية، آدريان»

ليس هناك أمل في أن أجعل فليكس يخدمني، ولكن من الممكن أن أحصل على مساعد جيد.

لا بأس، غداً سأكون جميلة مرة أخرى. غداً سأكون سعيدة مرة أخرى.. غداً، غداً...

*

أعود إلى الغرفة أغلق الباب، وجهي مخبأ في الوسادة، بإمكاني أن أنال الآن قسطا من الراحة قبل أن أخرج مرة أخرى. ما الذي يهم عندما أستطيع الاستلقاء على السرير وترك الماضي خلفي، أنا كما لو كنت لحافا؟ أعود.. أعود.. أعود..

... لقد صعدت الدرج للتو، يجب أن أنزل مرة أخرى.

«كلا. كلا غرفتك ليست جاهزة بعد، عودي، عودي بين الخامسة

Twitter: @ketab_n

والسادسة» «كم الساعة الآن؟» «إنها العاشرة والنصف».

«الشجاعة، الشجاعة سيدتي الضئيلة» تقول «كل شيء سيجري على ما يرام».

أنزل الدرج درجة درجة.

ينظر الرجل لي ويتردد، ربما يخشى أن ألد طفلي في سيارته التاكسي الجديدة. ياله من أمر ليحدث!

لا خطر أبداً، أود أن أقول، ساعات وساعات وساعات، تقول هي.

أعود إلى الفندق وأصعد لغرفتي. كم هو صعب أن تفعل ذلك. هل قام أحد بفعل ذلك من قبل؟ بالطبع -الكثير من الناس- الناس الفقراء. أوه، نعم الناس الفقراء بالطبع... مايزال الأمر صعبا على أن يحدث. أن تتجول وأنت بهذا الشكل. والخامسة والنصف وقت طويل جداً، قرون من الزمن.

عندما أصعد السلالم ثانية يكون نظري ضبابيا.

«الشجاعة يا سيدتي، غرفتك جاهزة الآن»

غرفة، سرير حيث يمكنني أن أستلقي. الأسوأ قد مضى بالتأكيد. ولكن الليل الطويل، الليل الطويل الذي لا يقهر...

«الشجاعة، الشجاعة» تقول «كل شيء سيكون على ما يرام، كل شيء يسير بشكل جميل».

هذا منزل مرح. هناك أناس ينجبون الأطفال في كل مكان. على العموم؛ اثنان على الأقل ينجبان الأطفال.

«المسيح، المسيح» تقول إحدى النساء «الأم، الأم» تقول الأخرى.

لا أتكلم، كم سأحتاج من وقت لأتكلم؟

«كلوروفورم، كلوروفوم» أقول وأنا أتكلم. بالطبع سأفعل، ياله من

Twitter: @ketab_n

هراء!

لا يوجد طبيب ليعطيهم الكلورفوم هنا. هذا مكان للناس الفقراء. كما أنها لا توافق على الكلوروفوم. لا مسيح، لا أم، و لا كلوروفورم أيضا...

ماذا بعد؟

هذا.

دائما؟

نعم، دائما.

تأتي، وتمسح جبيني. تتحدث معي بلغة ليست لغة. ولكنني أفهمها.

للخلف، للخلف، للخلف... لقد حدث هذا عدة مرات.

ما أنت؟ أنا جهاز، شيء يستخدم...

تخرج من غرفة لأخرى، تشجع، تخفف، تتواصل: «الآن، أنت لا تحاولين، الشجاعة، الشجاعة».

تتكلم بلغتها القديمة، القديمة جداً بكلمات ليست كلمات.

حياة من الرم، عندما أفكر في الأمر، سأكره أن أعيشها، على العموم بالنسبة لها، هي حياة وحسب...

بعد ذلك لم أستطع النوم. كنت سأنام لساعة أو اثنتين، وسأستيقظ وأنا أفكر بالمال، المال، المال لابني، المال.. المال..

هل أحببته؟ ذلك الشيطان الصغير المسكين. لا أعرف إن كنت أحببته.

لكن فكرة أنهم سيتخلصون منه لأننا لا نملك المال، هي عذاب تام.

نقود، نقود لابني الصغير، ابني الجميل...

لا أستطيع النوم، يجف صدري، يجف فمي. لا أستطيع النوم. نقود، نقود...

Twitter: @ketab_n

«لماذا!» تقول هي. «لا تستطيعين النوم؟ هذا ليس جيدا، ليس جيدا».

ربما هي تعلم لم لا أستطيع النوم. أراهن أن بعضهن لا يستطعن النوم أيضا. قلقات بشأن الأمر نفسه، هذا ليس طفلا، هذا طفلي أنا. نقود، نقود...

«حسنا، لم لا تستطيعين النوم؟ هل يبكي هذا الرجل الصغير؟».

«لا إنه بالكاد يبكي. هل هذه إشارة سيئة. إنه لا يبكي؟».

«لم؟ لا.. لا أبداً، طفل جميل، جميل جداً، لكن لم لا تستطيعين النوم؟».

لديها عينان مائلتان، واضحتان جدا. أحب الناس بالعيون الواضحة المائلة. لا أزال أستطيع الاستسلام للناس الذين أحبهم.

«أخبريني ماذا أستطيع أن أفعل؟ هل من حل؟ أخبريني ما أفعل؟».

تربت على كتفي وتقول: «لا تقلقي من أي شأن، كل شيء سيكون على ما يرام. سأرسل لك شايا بالأعشاب من ماء زهر البرتقال. والليلة يجب أن تنامي، تنامي...».

ليس بإمكاني أن أطعم هذا الطفل المسكين. أخذوه وأعطوه حليب نستله.. لأستطيع النوم...

في اليوم التالي أتت وقالت «الآن سأرتب لتعودي كما كنت، لن يكون هناك أثر أو علامة أو أي شيء».

لفّتني بقوة في ضمادات غير مريحة وضاغطة جدا. بمهارة لفتهم جيداً وربطتهم. أفهمتني بأنه أمر إضافي، تتقاضى الكثير لقاءه.

«أفعل ذلك أفضل من أي كان في باريس» تقول «أفضل من أي طبيب، أفضل من جميع أولئك المعلنين، أفضل من أي كان في باريس».

والآن ها أنا ملتفة بهذه الضمادات اللعينة لأسبوع كامل.

وهو هناك أيضا مستلق وملفوف جيداً. كمومياء صغيرة. ولا يبكي أبداً.

Twitter: @ketab_n

لكنني الآن أحب أخذه بين ذراعي، والنظر إليه، جبهة جميلة، بيضاء جداً، الحواجب مرسومة بغبار ذهبي...

حسنا، لقد كان وقتا مرحا، (الإناء الكبير من القهوة في الصباح مرسوم عليه ورود حمراء وزرقاء. كنت عطشى دائما). لكن غير مرتاحة، غير مرتاحة... من المفترض أن يكون الطفل جميلا هكذا، شاحباً هكذا، صامتاً هكذا؟ بقية الأطفال يبكون منذ الصباح حتى المساء.. لست مرتاحة...

عندما أتذمر من الضمادات تقول «أعدك بأنك عندما تخلعينهم ستكونين كما كنت تماما» وكان حقيقيا، عندما خلعتهم لم يكن هناك خط واحد، لا تجعيدة واحدة، بلا أي خدش أو تغيير...

*

حتى مصفف الشعر انتهى به المطاف ليدعوني: «السيدة الضئيلة» هو يعبث في شعري لبعض الوقت، يحرك أصابعه عليه، يشعر به. ثم: «في مكانك سيدتي، لا يجب أن أتردد، ولكن ليس لدقيقة، الأشقر الرمادي» يقول. الطريقة الصحيحة لقول ذلك هي: «لو كنت مكانك سيدتي لما ترددت للحظة».

يمس شعري بلطف. رائحة الصابون، العبق، لوشن الشعر، صوت مجفف الشعر في المربع بجانبي، أصابعه تمس شعري -بإمكاني أن أنام.

«حسنا» أقول بصوت ناعم. كما تشاء، عزيزي، كما تشاء.

بالطبع ليس بإمكاني النظر إلى هذه العملية، أقرأ المجلات -فيمينس، اليستوريشن، هايردريسينق، ذا هيردرسرز ويكلي وقسم كبير تحت اسم «ذا هايف» - إجابات لتساؤلات.

«بيريت كلير دي لاتاسا» لا آنستي رسالتك غير عقلانية. ليس بإمكانك الحصول على هذا بهذه الطريقة -أبداً. الحياة ليست بهذه السهولة. الحياة،

Twitter: @ketab_n

آنستي، صعبة، في عمرك ستكون صعبة جداً أن تفقدي الوزن، لكن... سيدتي الضئيلة -لا، سيدتي الضئيلة أنت لا تتحدثين بعقلانية. الحب شيء، الزواج شيء آخر! اذا لم تكتشفي ذلك بعد، ستكتشفين قريبا، ولكن...

لا يا آنستي، لا يا سيدتي الحياة ليست سهلة. لا توهموا أنفسكم، الحياة ليست سهلة. لكن هناك أمل (عودوا للصفحة الخامسة) وهناك أمل أكبر (اقلبوا الصفحة التاسعة).

أنا في وسط مقال طويل مكتوب من سيدة قامت برفع ثدييها عندما أبعد مجفف الشعر عن رأسي، «فوالا...» قال... «نعم» قال... «أشقر رمادي جميل، نجاح».

توقعت أن أستمر بالتفكير في شعري اللعين هذا بلا توقف لأيام. «هل يبدو جيدا؟ أم لا؟».

ولكن قبل أن تصل سيارة الأجرة إلى مومبرناس كنت قد نسيت أمره تماما.

لا أود الأكل، قررت الذهاب إلى حدائق لكسمبورغ والجلوس هناك كما فعلت بالأمس. من المثير كم أشعر بالسلام -كما لو أنني كنت مهووسة بشيء. ليس بتلك الطريقة - بل بهذه الطريقة. ليس بتلك الطريقة -بل بهذه الطريقة. ارقصي فقط، واتركي لي الموسيقى... هكذا.

هناك أسماك في بركة نافورة ميديسس. ثلاث حمراوات وواحدة ذهبية. السمكات الأربع يبدون بائسات كما لو أنهن قد وضعن للتو هنا، أتساءل ربما كنّ كثراً ومِتن معظمهن الآن.

أقف لمدة طويلة، أراقب السمكات. وبضع أناس آخرين يقفون أيضا ويتفرجون. نقف في خط عرضي، نراقب السمك.

Twitter: @ketab_n

*

يجب أن أذهب لشراء قبعة بعد الظهر، أفكر، وغداً فستان. يجب أن أبدأ فعل التحول، لكنني أجلس هناك، أراقب موكبا من نساء رثات يدفعن العربات، من رجال مزررين بمعاطفهم السوداء.

أحدهم ينشقّ من هذا كله ويتجه لي. وفقط عندما يكون قريبا مني ويخرج يديه أتعرف عليه. الروسي الأصغر، الحزين. هو أيضا ملتفٌّ جيداً في معطف أسود مزرر. وشاحه مربوط بشكل جيد. يرتدي قبعة سوداء. مثل كل الآباء في هذا الموكب. حقيقي جداً، محترم جداً. ينحني ويصافحني.

«هل تسمحين لي؟» يسحب كرسيا ليجلس بجانبي.

«لم تذهبي لمقابلة صديقي بالأمس بعد الظهر» يقول. «أعتذر، لكنني لم أكن أشعر أنني بخير». «لقد غضب جداً، لم يكن تصرفا مقبولاً منك» يقول. يبدأ في الضحك. «حسناً، ماذا قال؟». «أوه لقد كان في نوبة غضب عارمة، لقد استلم رسالة مزعجة هذا الصباح». «لقد كنت متكدرة» قلت. «لم أستطع الذهاب».

يقول، دون أن يبعد عينيه عن عيني: «عندما أحدد موعداً فإنني دائما أحافظ عليه، حتى لو اعتقدت بأن الطرف الآخر لن يكون موجوداً». «هل تفعل؟ تلك ليست فكرتي تماما عن الروس». «أوه، الروس، الروس -لم تعتقدين بأنهم يختلفون عن بقية الناس؟».

لقد قدم من أوكرانيا، يخبرني. «والجو حار جدا هناك، وبارد جدا في الشتاء». ثم يحول الموضوع ببساطة عن الروس وكل ما هو روسي. رغم أنه يتحدث عن نفسه من نواح أخرى. هو إنسان فرنسي طبيعي، قضى خدمته العسكرية في فرنسا، يقول بأن اسمه نيكولاس ديلمار، اسمه لا يوحي بأنه روسي لي. عموما هذا ما يدعو به نفسه، كتبه على قطعة من الجريدة مع

Twitter: @ketab_n

عنوانه وأعطاني إياه. يعيش في مونتروج. لديه قريبة أنثى، أخت، أم، عمة، لا أستطيع التمييز -مريضة، الأمر الذي يجعله حزينا جداً.

«لكن بإمكاني أن أنسى ذلك» يقول «كل يوم آتي إلى الحي اللاتيني. أو أسير في حدائق لكسمبورغ بإمكاني أن أنسى».

يتحدث الفرنسية ببطء وثقل. هذا منحني الثقة. فيما لو دخلنا في نقاش فلسفي عميق. يقول «بالنسبة لي كما ترين أرى الحياة بهذا المنظور، لو أن أحدهم أتى وسألني إن كنت أود أن أولد لقلت لا. متأكد بأنني سأجيبه بلا. لكن لم يسألني أحد. لست هنا برغبتي -معظم الأشياء التي حدثت لي لم تكن خياري أيضا، وهذا ما أخبر به نفسي دائما: أنت لم تطلب أن تولد، أنت لم تصنع من العالم ما هو عليه، لم تصنع من نفسك ما هي عليه، لم تعذب نفسك؟ لم لا تعيش الحياة كما هي؟ لديك الحق في ذلك، لست من أولئك المذنبين». «عندما لا تكون غنيا أو قويا أو صاحب سلطة، فأنت لست مذنبا، بإمكانك أن تعيش حياتك كما هي، وتكون سعيداً بقدر ما تستطيع».

وهو يتحدث كانت تتملكني هذه الفكرة، أنت أيها الشخص (س) -يجب أن تنزل وتولد- لابد لأحد أن يفعل. أين الشخص (ص)؟ (ص) مختبيء، حسناً تعال أيها الشخص (م) أنت يجب أن تذهب وتولد، هيا أسرع، أسرع... هناك واحد كل دقيقة، أم كل ثانية؟

«ولكن ألم تتمن لو أنك كنت غنيا أو قويا أو صاحب سلطة؟».

«ليس بعد الآن». يقول «ليس بعد الآن، أفضّل أن أكون أنا. الأشياء كما هي الآن. لا أتمنى أن أكون غنيا أو قويا أو صاحب سلطة. لا أود أن أكون مذنبا، أعرف بأنني لست مذنبا، لذا بإمكاني أن أكون سعيدا بقدر ما أستطيع».

مضينا في هذا الحوار لبعض الوقت، كنت أفكر ما الذي يفعله، من هو؟

Twitter: @ketab_n

يبدو كشخص يعتاش على مدخول ثابت. وبينما أفكر في ذلك يخبرني بأنه يحب هذه المنطقة من باريس، الحي اللاتيني، لأنه يحب الشباب. أحدق فيه بقوة وهو يقول ذلك. لكن كل ما يقصده أنه يحب الشباب.

«نعم» أقول أنا. «أحب الشباب أيضا، من لا يفعل؟ وهذا هو المكان الملائم، مليء بالشباب والأطفال.. إلخ».

«نادرا ما أذهب إلى مونتمار» يقول «نادرا ما أذهب إلى أي مكان آخر. هذا المكان من باريس الذي أحبه -الحي اللاتيني ومونبرناس».

«جنبا إلى جنب، وآه كم مختلفان».

«هل لاحظت قط؟» يقول: «عندما تذهبين من جزء في باريس إلى جزء آخر فكأنك تنتقلين من مدينة إلى أخرى -بل حتى من بلد إلى بلد؟ الناس مختلفون، الأجواء مختلفة، حتى النساء ملابسهن مختلفة».

لا أعرف لماذا لم يعجبني تماما. هذا اللطف، الجنون المستقيل -تبدو غير حقيقية على رجل لا يتعدى الثلاثين بكثير، أو ربما لأنه يبدو كأنه صدى شيء لا الشيء نفسه.

في لحظة أشعر بذلك، وفي لحظة أخرى يعجبني كثيرا كما لو أنه كان الشقيق الذي لم أحظ به.

«مونبرناس تختلف كثيرا عما عرفتها من قبل، بإمكاني أن أخبرك بهذا، كان ذلك بعد الحرب مباشرة» أقول بانكسار. «بما أنك تحب الشباب كثيرا، هذا يمنحك شيئا لتفكر به».

«أتيت إلى هنا مباشرة بعد الحرب؟».

«نعم، لقد عشت هنا منذ خمس سنوات مضت. ثم عدت لإنجلترا».

«نعم، لابد أنها تغيرت كثيرا، كثيرا» يقول ضاغطا شفتيه، ومحركا رأسه.

Twitter: @ketab_n

«أوه، بشع» أقول «لكنني لا أعتقد بأن الأمور تتغير كثيرا، نحن فقط نظن ذلك. أرى الأشياء تكرر ذاتها المرة بعد المرة» سير على غير هدى.

يقول: «أعتقد بأنك تشعرين بالبرد سيدتي، أنت ترتجفين، هل تودين الذهاب إلى المقهى وتناول شوكولا ساخنة؟ هناك محل جيد بالقرب من هنا».

أقول «أفضل أن أذهب إلى مكان حيث يمكنني تناول المشروب».

كانت لدي فكرة أنه لا يوافق على هذا، لكنه قال: «حسناً، بالطبع، لنذهب».

لم أكن مخطئة هذه المرة، ذهبنا إلى مقهى محايد وعندما جلسنا كل مع كوب من القهوة في الزاوية قال: «هل تعلمين بم أشعر تجاهك؟ أعتقد بأنك وحيدة جداً، أعرف لأنني لوقت طويل كنت وحيداً أيضاً. كنت أكره الناس، لم أرد رؤية أحد. وفي يوم من الأيام فكرت: «لا، ليس بهذه الطريقة» والآن ها أنا أجبر نفسي على التأقلم، لدي الكثير من الأصدقاء، لا أكون وحدي أبدا، الآن أنا أكثر سعادة».

هذا يبدو سهلا للغاية، يجب أن أجرب هذا عندما أعود إلى لندن...

أقول: «أعجبني صديقك ذلك المساء».

«آها، نعم» يقول هازا رأسه. «لكنه كان كئيبا، وتلقى أنباء مزعجة... المتفائل ليس منه فائدة ترجى لي، بإمكاني أن أعرف ذلك.» «لكن لدي العديد من الأصدقاء، سأعرفك عليهم جميعا إذا وددت ذلك. هل تسمحين لي؟ لن تكوني وحيدة وستكونين أكثر سعادة، سترين».

«هل تتوقع أن أعجبهم؟ أصدقاءك؟».

«بالطبع، بالتأكيد».

هذا الشاب مريح جداً -تقريبا مريح كمصفف الشعر.

Twitter: @ketab_n

«هل تأتين الآن لرؤية أحد أصدقائي؟ هو رسام، أعتقد بأنه سيعجبك، هو سعيد دائما ويعرف كيف يتحدث مع الجميع... نعم، سيرجي يفهم الجميع -إنه رائع». وسواءً كان أميرا، أو عاهرة، يبذل دائما قصارى جهده».

«لكن في صميم قلبه، أنت تعلم بأنه يهتم حقا، حقا يهتم بالجميع».

يبدو جيداً.

«نعم، أود ذلك» أقول «لكنني لن أستطيع بعد ظهر اليوم، يجب أن أذهب لشراء قبعة».

«حسنا، هل تودين أن تأتي غدا؟» يقول هو، ورتبنا لنلتقي في اليوم التالي الرابعة عصرا.

كان هناك محل قبعات جيد في ريو فافين. لم يعد موجودا الآن. أسير على غير هدى في العديد من الشوارع الخلفية حيث لا يوجد أي محل لبيع القبعات، ثم شارع مليء بهم. -فيرجيني، جوسيت، كلاودين... أنظر إلى النافذة في المحل الأول. هناك زبونة في الداخل، شعرها نصف مصبوغ، نصف رمادي، أشعث جدا. وأنا أراها تضع القبعة، تنظر لوجهها في المرآة، وتخلعها بسرعة. تجرب واحدة أخرى -ثم أخرى. تعبيراتها مريعة -جائعة، محبطة، آملة، مجنونة قليلا. تتوقع أن تضحك في أي لحظة ضحكة المجانين.

أقف في الخارج لا أستطيع الحراك، قبعة بعد أخرى تجربها. تغير وجهها بتلك الطريقة في المرآة، وترمي بالقبعة مرة أخرى. وأنا أنظر لها، هل أنا أرى نفسي كيف سأصبح؟ في خمس سنوات من الزمن، في ست سنوات من الزمن، هل سأكون هكذا؟

لكنها أفضل من الأخرى، المعجبة بنفسها، بيضاء، سمينة، شعرها أسود تلك التي تقدم القبعات بتعبير ساخر هادىء. وكأنك ترى لسانها يدور ويدور داخل خدها. وكأنه مشاهدة الشيطان بروحه الملعونة. إذا ما كان لي أن

Twitter: @ketab_n

أنتهي كإحداهما، هل من الممكن أن أنتهي كهذه الشمطاء المرعبة.

اكتشفت بأنه لا يمكنني أن أبقى أحدق فيهم أكثر من ذلك لذلك مضيت وأنا أرتجف، ثم تذكرت مقولة الروسي: «أنا لم أسأل أن أولد، لم أجعل من العالم ماهو عليه، لم أجعل من نفسي ما أنا عليه، لست واحدا من المذنبين، ولهذا فلدي الحق...» إلخ إلخ.

هناك على الأقل عشرة محلاتِ قبعاتٍ نسائية في هذا الشارع. قررت الذهاب إلى آخر محل في الجهة اليسرى وتمنيت أن يحالفني الحظ.

الفتاة في المحل تقول: «القبعات الآن صعبة جدا، جميع زبائني يقولون القبعات الآن صعبة اللبس».

هذا محل أكبر بكثير من المحل السابق، هناك ضوء ساطع، ساطع جداً على المرآتين وفي الخلف غرفة طويلة تمتد في الظلام.

تدخل في الظلام وتخرج بقبعة تتلو قبعة، تتمتم: «جميع زبائني يشتكون من أن القبعات الآن صعبة اللبس. لكنني أعتقد -أنا متأكدة- بإمكاني أن أجد ما يناسبك».

في المرآة يبدو لي أنني أحمل التعبير المريع للسيدة في بداية الشارع.

«يا إلهي، ليس هذا».

أنظر لها بريبة في المرآة. هل تضحك علي؟ لا، أعتقد بأنها لا تفعل. أعتقد بأن تعبيرها تعبير شخص معتدّ ومشغول. تود أن أعترف لها قبل أن أخرج بأنها تستطيع صناعة القبعات.

وعندما رأيت التصميم في عينيها قررت أن أثق بها. وأصبحت أكثر هدوءا.

«هل تعلمين، أنا مترددة قليلا، أخبريني فضلا أي واحدة يجب أن أقتني».

Twitter: @ketab_n

«الأولى التي أريتها لك» تقول بلا تردد.

«يا إلهي، ليست تلك».

«أو ربما الثالثة».

عندما وضعت الثالثة «لا أود الإصرار -لكن نعم- هذه القبعة تلائمك».

أنظر لها بريبة وهي تراقبني -ليس بسخرية ولكن بحماس.

تقول: «سيري في الغرفة بها، وانظري إن كنت تشعرين بالسعادة، وإن كنت تشعرين بالراحة فيها».

لا يوجد أحد آخر في المحل. والمكان مظلم قليلا في الخارج. نحن وحدنا نحتفل بهذا الطقس الاستثنائي.

تقول: «أنا قليلا ما أصر، لكنني أعلم عندما أجد القبعة الملائمة تماما تلك التي لن تندمي عليها. تعرفين عندها أن هذه القبعة صنعت لك».

لقد قررت أن أثق بهذه الفتاة، ولابد لي أن أثق بها.

«لم أحببها كثيرا، ولكنها تبدو الوحيدة الملائمة» أقول بنبرة متأكدة.

لقد مضى علي ما يقارب الساعتين في المحل، ولكن عينيها ماتزالان تبدوان مريحتان.

دفعت ثمن القبعة. ارتديتها، وتملكتني رغبة كبيرة في أن أدعوها للعشاء معي. لكنني لم أجرؤ على ذلك. كل عفويتي كانت قد ذهبت أدراج الريح. هل كان لدي عفوية أصلا؟ نعم، أعتقد بأنني امتلكت بعض العفوية -بعض الأوقات كنت عفوية- في فلاشات، في جميع الأحوال، ذهبت اللحظة الآن، لو كنت قد سألتها أن تتناول العشاء معي، كنت سأحظى بفشل ذريع.

Twitter: @ketab_n

قامت بتعديل القبعة بحذر «تذكري، يجب أن ترتدى في المقدمة، وفي جهة واحدة، حسنا؟».

تنظر لي وماتزال مبتسمة، زبونة غريبة... غريبة... آخر ما قالته هو: «كل القبعات الآن صعبة جداً. جميع زبائني يشتكون».

كنت أبدو أكثر عقلانية وسعادة بعد هذا. ذهبت إلى مطعم في الجوار وتناولت وجبة كبيرة، في الوقت نفسه بحذر، أرى تأثير القبعة على الآخرين في الغرفة. حسنا، لا أحد يحدق بي. أعتقد بأنها إشارة جيدة.

رجل يجلس قريبا، يسأل إن كان بإمكانه أن يرى صحيفة المساء بما أنه يود الذهاب إلى السينما الليلة. ثم حاول أن يفتح حوارا معي. أفكر «لا بأس في ذلك...».

*

عندما أذهب إلى بلاس دي لوأديون أشعر بالسعادة. مع شعري الجديد وقبعتي الجديدة ووجبة جيدة وكأس من النبيذ والرقة والقهوة ورائحة الليل في باريس. لن أذهب الليلة إلى البار الموحش الذي اعتدت الذهاب إليه، سأذهب إلى مكان تعزف فيه الموسيقى، وفيه كثير من الناس. مكان فيه رقص، ولكن أين؟ وحدي، أين يمكنني الذهاب؟ سأتناول مشروبا واحدا في البداية ثم أفكر في الأمر. ليس دوم، سأتجنب دوم الملعون، ثم بالطبع إنه دوم الذي أذهب إليه. الشرفة ممتلئة، لكن لا يوجد الكثير من الناس في الداخل، لم يا إلهي أتيت إلى هنا؟ لقد كرهت المكان دائما، ماعدا في البداية، عندما لم يكن بهذه الفخامة والتألق، والناس كانت تبصق على الأرض، كان أجمل حينها.

أدفع ثمن مشروبي وأخرج. أنتظر أن أعبر الشارع يقول أحدهم: «لو

Twitter: @ketab_n

سمحت، هل يمكنني التحدث إليك؟ أعتقد بأنك تتحدثين الإنجليزية»

لا أجيب، نقطع الشارع جنبا إلى جنب.

يقول: «من فضلك اسمحي لي بالحديث معك. أود ذلك كثيرا».

يتحدث الإنجليزية مع لهجة خفيفة جدا. لا أستطيع تمييزها. أنظر له وأتعرف عليه. كان يجلس على الطاولة في الزاوية مقابل طاولتي في دوم.

«من فضلك هل يمكننا الذهاب إلى مقهى والحديث؟».

«بالطبع» أقول «لم لا؟».

«أين يمكن أن نذهب؟» يقول بصوت غائم «كما ترين أنا لا أعرف باريس جيدا، لقد وصلت البارحة فقط».

«أوه؟» أقول أنا.

ونحن نسير معا، أنظر له من الجنب، ولا أستطيع رؤيته. هو لا يحاول تفحصي كما يفعلون عادة. هو يعرض نفسه. شخصه هو، إنه وسيم جدا كما ألاحظ. لاحظت ذلك في دوم. لكن التوتر يؤثر قليلا على ضحكته...

بالطبع، لقد فهمت. يا إلهي، هل أبدو هكذا؟ هل أبدو كعجوز ثرية تتجول في مومبرناس رغبة في..؟ بعد كل هذا العناء الذي مررت به، هل هذا ما أبدو عليه؟ أفترض بأنني أبدو هكذا...

هل يجب أن أخبره بأن يذهب للجحيم؟ لكن أعتقد بأنني في هذا الوقت أستطيع الرد، تتحدثين إليهم، تتظاهرين بالتعاطف، ثم في اللحظة التي لا يتوقعونها أبدا، تقولين: «اذهبوا إلى الجحيم».

نمرّ بالقرب من كلوسريه دي ليلاس، يقول «يبدو مقهى جيدا، هل بإمكاننا الجلوس هنا؟».

«حسنا، لكنه ممتلىء. لنجلس في الشرفة».

Twitter: @ketab_n

الشرفة مظلمة وباردة، ولا يوجد أحد هناك.

«ما رأيك بكأس من الشراب؟».

«يجب أن تجد النادل لن يأتي إلى هنا».

«سأحضره».

يدخل للمقهى ويخرج ثانية مع النادل وكأسين من البراندي.

يقول: «هل شعرت بهذا من قبل -كما لو أنك لا تستطيعين التحمل أكثر من ذلك، أن تشعري بالحاجة للحديث مع أحدهم؟ أن تقولي كل شيء لأحدهم وإلا مت؟».

«أتصور ذلك».

لم يكن ينظر إلي -لم ينظر لي ولا لمرة واحدة. ينظر للأمام. يجمع نفسه ببعض الجهد. سيقول ما يود قوله. لقد فعلت ذلك كثيرا، من الممتع أن أرى شخصا آخر يفعله.

«لكن لم اخترت الحديث معي؟».

سيقول: «لأنك تبدين طيبة جدا» أو «لأنك تبدين جميلة جدا وطيبة» أو ربما: «تبدين كمن سيتفهم ...».

يقول: «لأنني أعتقد بأنك لن تخونيني».

لقد قررت أن أجعل هذا الرجل يتحدث لي، ويخبرني بكل شيء. ثم أن أكون إنجليزية بشكل مدمر، وأؤذيه قليلا ردا على كل مرة أوذيت فيها... «لأنني أعتقد بأنك لن تخونيني، لأنني أعتقد بأنك لن تخونيني...». لا يبدو الأمر بهذه السهولة الآن.

«بالطبع، لن أخونك. لم أخونك؟».

«لا» يقول «لماذا؟».

Twitter: @ketab_n

يرمي برأسه ويضحك. تلك الحركة ليستعرض أسنانه. أيضا كما أفترض أنه يضحك على فكرة أنني أستطيع خيانته.

«جميل جدا، جميل جدا بالطبع. أسنان رائعة» أقول بلهجة مهينة.

«نعم، أعلم» يقول ببساطة.

لكنني تضايقت منه قليلا. ينهي شرابه ثم يبتديء مرة أخرى.

«أنا ما يدعى بالفرنسية ولد سيء».

«لكنني أحبهم، أحب الأولاد السيئين».

للمرة الأولى ينظر لي مباشرة. ولا يشيح بنظره ثانية. لكنه يقول بالصوت المتوتر نفسه: «لقد مررت بأزمة سيئة في المنزل وهربت».

«أنا كندي، كندي-فرنسي» يقول.

«كندي-فرنسي؟»

«هل من الممكن أن نطلب كأسا آخر؟».

مرة أخرى عليه أن يدخل للمحل ليطلب الشراب. الآن يزحف إلى داخلي، البراندي، يتسلل في ذراعي و ساقي، وبدأت أشعر بالدوار.

أستمع لقصته، وهي أنه انضم للفيلق الأجنبي، كان في المغرب لثلاث سنوات، و عندما لم يستطع تحمل الوضع هرب عبر إسبانيا، إسبانيا فرانكو، فقط هرب من الفيلق الأجنبي، الفيلق... الفيلق الأجنبي...

«كان حظي كبيرا لأصل لباريس الليلة الماضية، لولا الحظ لما استطعت الهرب، أقيم في فندق بالقرب من جير دورسيه».

«هل هو بالسوء الذي يقال عنه؟ الفيلق..».

هناك الكثير من الكذب حوله، لكنني اكتفيت... لا تصدقيني، هل تفعلين؟ أنت لا تصدقين أيا مما أخبرك به. لكن الأمر دائما عندما لا يبدو

Twitter: @ketab_n

حقيقيا يكون حقيقيا تماما. يقول.

بالطبع أعلم ذلك... تخيل الشيء المصاغ بشكل جيد ومنمق يقدم لك بأنه هو الحقيقة. هذا ما ليس هو. الحقيقة هي بعيد الاحتمال. الحقيقة هي الرائع، تراها في انعكاس المرآة المشوشة.

هناك ترى الحقيقة.

«سأخبرك بأمر لا أصدقه. لا أصدق بأنك فرنسي كندي».

«إذا ماذا تتوقعين؟».

«إسباني؟ إسباني-أمريكي؟».

يطرف بعينه ثم يقول لنفسه «إنها ليست غبية» هذا من الممكن أن يعني أي شيء.

«الجو بارد جدا هنا» أقول: «بارد جدا لنبقى أطول».

«لا، لا أرجوك لا تذهبي. لا يجب أن تذهبي، أو إذا وددت نذهب لمكان آخر. يجب أن أتحدث معك».

صوته ملحّ جدا للدرجة التي جعلتني أشعر بالغضب.

«لكن يا صديقي العزيز، لا أعلم ما الذي تظن أن بإمكاني فعله، الأشخاص عندما يقعون في مشكلة فإنهم يريدون شخصا لديه المال لمساعدتهم. أليس كذلك؟حسنا، أنا لا أمتلك المال».

زوايا فمه اتجهت للأسفل. جميعهم يقولون ذلك.

أردت أن أصرخ به «لا أمتلك المال، أقول لك. أعرف بم تحكم على الأمور. أنت تحكم من خلال معطفي، يجب أن تحكم بما يوجد تحت المعطف. بما أحمله في حقيبتي. بتعابير وجهي. بما تشاء، ولكن ليس بهذا المعطف اللعين، الذي كان هدية -والسبب الوحيد الذي جعلني لا أبيعه هو أنه

Twitter: @ketab_n

منذ فترة طويلة وأنا لا أريد إهانة الشخص الذي أعطاني إياه، ولأنك عندما تحاول بيع الأشياء سيصدمك الأمر، ولأن...».

وها أنا -لا فائدة من النقاش. أرى الأمر ثابتا في عقله، أنني ساقطة ثرية، إذا ما منح الأمر وقتا كافيا فبإمكانه إقناعي بمنحه المال.

«لكنني لا أريد منك المال، ما تمنيته هو أن نذهب لمكان وحدنا بإمكاني أن أضع رأسي على صدرك وذراعاي تحوطانك وأن أخبرك بكل شيء. تعلمين، الأمر غريب. لكنه ما أشعر به الليلة. بإمكاني الموت لأجل ذلك -امرأة تحوطني بذراعيها وبإمكاني أن أحكي لها كل شيء، هل بإمكاننا الذهاب لمكان كهذا؟».

«لا، لا يمكننا» أقول «مستحيل».

«حسنا» يقول متقبلا الأمر بهدوء «إن لم تستطيعي فعل ذلك، فكرت أنه بإمكانك مساعدتي في أوراقي الرسمية، كما ترين ليس لدي أوراق ولا جواز سفر. لهذا السبب أنا في مشكلة. أقل حادث أكون قد انتهيت. ليس لدي أوراق. لكن إن حصلت على جواز سفر فبإمكاني الذهاب إلى لندن، سأكون بأمان هناك. بإمكاني التواصل مع بعض الأصدقاء».

أقول: «وأنت تعتقد أنه بإمكاني مساعدتك للحصول على جواز؟ أنا؟ أنا؟ ما الذي تظنه بي؟ لابد وأنها واحدة من لياليّ الجيدة»

في هذه اللحظة وجدت كل شيء مضحكا حقا، وبدأت في الضحك بصوت عال. وضحك هو أيضا.

«لا يمكنني البقاء على هذا الطريق كثيرا. الجو بارد جدا»

قرع على النافذة وعندما أتى النادل دفع ثمن المشروبات.

«الآن أين يمكننا الذهاب؟» وضع ذراعه في ذراعي وقال بالفرنسية، «إلى

Twitter: @ketab_n

أين الآن؟».

ما الضرر الذي من الممكن أن يلحقه بي؟ ليس لديه المال وأنا لا أمتلك المال أيضا. لست قابلة للكسر.

ها نحن، الذراع في الذراع، خارج الكلوزيريه دي ليلا وعندما أفكر بحياتي تبدو مضحكة بحيث لا أستطيع إلا أن أضحك.

احتجت لوقت طويل لأرى كم كانت مضحكة. الآن أستطيع رؤية ذلك. نعم أفعل.

«يجب أن تخبريني إلى أين نذهب» يقول « لأنني لا أعرف باريس».

أخذته للكافيه الذي أذهب إليه في معظم الليالي -المكان الخاوي من الناس دائما.

هذه هي المرة الأولى التي أراه في النور الساطع. قريب. وهذه المرة الأولى على الأقل التي لم أفكر فيها ماذا يظن بي هذا الرجل. كل مابي هو الفضول لمعرفة كيف يبدو.

لا يبدو كمحتال نساء. ليست فكرتي عن المحتال بتاتا. على سبيل المثال، شعره غير مرتب تماما، لكنه شعر جميل.

كأس آخر من البراندي والصودا. أعتقد أن كل هذا المال الذي ينفقه علي هو الطعم لاصطياد الحوت. النادل وهو يعطيه الفكة يخرج أغرب مجموعة من العملات الصغيرة. قطع من الخمس وعشرين سنتيما، عشرة، خمسة -غطوا الطاولة. عندما جمعها جميعا مرة أخرى ببطء، ذهب إلى زاوية الغرفة خلع حذاءه وبدأ بتنظيفه.

أقول: «هذا المكان هو نوعي المفضل -مكان سعيد، هل أعجبك؟».

«لا، لم يعجبني، أفهم لم تأتين هنا، أنا أيضا لست معجبا دائما بالناس».

Twitter: @ketab_n

حسنا، ها هنا شخص آخر ليس بهذا الغباء.

يقول: «هل تعلمين، النادل كان متأكدا من أننا نحب بعضنا البعض، وبأننا سنكون سعيدين جدا هذا المساء، إنه يحسدنا».

«نعم وأتوقع بأنه سيبقى طوال الليل يفكر في الأمر، بالطبع سيفعل».

يبدو بائسا، متعبا، كما لو أنه كان يفكر: «لا جدوى، كل شيء يجب أن يبدأ مرة أخرى» المحتال المسكين!

أقول: «بالنسبة لأوراقك، هناك أشخاص هنا يبيعون هويات مزورة، من الممكن فعل ذلك».

«أعلم، أنا على اتصال بأحدهم».

«ماذا، وأنت قد وصلت البارحة توا؟ يبدو أنك لم تضيع الكثير من الوقت».

«لا ومن الأفضل ألا أفعل».

إنه في نوع من المشاكل. أعرف تلك النظرة. أردت بشدة أن أواسيه، أن أقول شيئا من الممكن أن يسعده.

«أنا أحب الأولاد السيئين» أقول. يبتسم. «أنا أعرف تماما ما الذي تريده» أقول «تريد شخصا أنيقا جدا، وثريا جدا».

«نعم» يقول «هذا ما سيناسبني، وجميل أيضا».

«لكن يا عزيزي لن تلقى أحدا هكذا في دوم».

«أين يجب أن أذهب إذا؟ أين يمكن أن أجد كل هذا؟».

«بار ريتز» أقول بضبابية.

بعد هذا بدأت قطعتي، أخبره اسمي وعنواني، وكل شيء.

يقول بأن اسمه رينيه، ويتوقف عند هذا. أخبره بأنني تعبت من فندقي،

Twitter: @ketab_n

وبأنني أود الحصول على شقة أو ستوديو.

يبدو متنبها على الفور «ستوديو؟ أعتقد أن بإمكاني الحصول لك على المكان الذي تودينه تماما».

لست ثملة إلى هذا الحد.

«أعتقد أنك للتو قلت بأنك قد هربت من الفيلق الأجنبي، ووصلت إلى باريس الليلة الماضية وستهرب في أقرب وقت ممكن».

«لم يجب أن يمنعني هذا الأمر من الحصول لك على ستوديو إن كنت تريدين ذلك؟».

اتركي الأمور تمر، اتركيها عزيزتي، ما الأمر؟

«هل من الممكن أن آخذك لفندقك؟».

«نعم، ولكنه بعيد جدا لنسير على الأقدام، أريد سيارة أجرة».

نجلس في سيارة الأجره في صمت، عند زاوية الشارع نخرج. أدعه يدفع.

«هذا أكثر بقليل من السيء بالنسبة لك، حتى أعلمك أن تقدر حجم نوعك بشكل أفضل».

«لنتناول مشروبا آخر» يقول.

نسير الطريق، نحاول الحصول على مكان مفتوح. كل شيء يبدو مغلقاً، لقد تعدت الثانية عشرة. نعبر شارع ريو سانت جاك يدا بيد.

لم أعد حذرة. يدا بيد نسير معا، نأرجح أذرعنا، فجأة يتوقف. يشدني تحت مصباح مضاء، ويحدق بي. الشارع خاو، الأضواء في البارات مغلقة.

« هيه.. أليس الوقت متأخرا بعض الشيء لفعل ذلك؟».

يقول «هذا هو الجنون بعينه، إنه الهذيان. السير هنا برفقتك، لدي

Twitter: @ketab_n

الشعور بأنني مع...

«فتاة صغيرة جميلة؟».

«لا» يقول «مع طفلة».

الآن قد اكتفيت من الشراب، الآن في هذه اللحظة الدموع قريبة جدا. أقول «حسنا، ليس هناك محل مفتوح. كل مكان مغلق. سأذهب للمنزل».

ينظر لباب الفندق الذي أقيم فيه.

«هل من الممكن أن أصعد إلى غرفتك؟».

«لا، لا يمكنك».

«حسنا، هل من الممكن أن أدخل قليلا، لأخذ غرفة لي ثم آتي لرؤيتك؟».

موظفة الاستقبال تقول: «الإنجليزية التقطت لها أحدهم، هل رأيت؟».

«لا، لا تأتِ إلى هنا، سأكون متكدرة جدا إذا أتيت إلى هنا، من فضلك لا تفعل».

«بالطبع لن أفعل إذا ما طلبت مني ألا أفعل». يقول بلباقة. «ماذا عن الفندق المجاور؟ ربما بإمكاني الحصول على غرفة هناك».

الفندق المجاور؟ لا، الفندق على بعد خمسة أو ستة أبواب. ذلك هو المكان. هناك في ذلك الفندق هناك غرفة مع أكبر سرير رأيته في حياتي -أكبر سرير في العالم، سرير الأسرة جميعها... كل ما في الغرفة أحمر. ولا شيء فيها سوى هذا السرير العظيم، ومغسلة. هل يجب أن أذهب وأن أستلقي عليه ثانية الليلة، عندما يكون كل شيء كاريكاتوريا، ومكشرا؟

أقول: «حسنا، لا يجب أن أفعل لو كنت مكانك، الفنادق في هذا الشارع ليست مريحة، جرب شيئا أكثر حداثة».

«راين آ فاير؟».

Twitter: @ketab_n

«راين آ فاير».

يهز كتفيه، «أنا آسف» يقول، ... ما هذا الشارع؟ كيف يمكنني الوصول لبولفارد ساينت ميشيل؟».

لا أصدق هذه الحركة في التظاهر كغريب في باريس، لكنه بالتأكيد يحافظ عليها بشكل جيد.

أحدهم يقرع الباب، أغلقته بلا ضرورة، كما لو أنه لا يمكن أن يفتح من الخارج بلا مفاتيح.

مارثا تقول: «هناك من يطلبك على الهاتف. ليس ملائما أن تغلقي الباب».

توقعت أنها تحاول الدخول لبعض الوقت. أشعر بصداع وغضب عارم. أفكر «إنه ذلك الرجل، بالطبع، لقد قرر أنه بإمكانه الحصول على بعض المال مني وفينوس تتمسك تماما بمفترسها». أليس كذلك.

بينما أفكر في ذلك أرتدي فستاني، أمشط شعري دون أن أتجرأ على النظر إلى نفسي في المرآة.

أنزل للطابق السفلي للهاتف، لا أحد على الخط.

كان هناك سيد. تقول موظفة الاستقبال. لكنه ذهب.

أشعر بالمرض اليوم. هذا سيكون مكانا مريعا، ليمرض فيه الشخص. لن يحضروا لي حتى زجاجة ماء أخرى عندما تنفد هذه. إنهم لا يفعلون شيئا.

أعتقد أنني عندما أقرع الجرس وأطلب أن يغيروا البياضات فإنهم يفعلون ذلك. تلك هي فكرتي عن الفخامة. أن تتغير البياضات كل يوم ومرتين يوم الأحد. تلك فكرتي عن قوة المال.

نعم، سأغير البياضات، سأستلقي على السرير طوال اليوم. أسحب الستائر. وألقي هذا العالم اللعين في الخارج...

Twitter: @ketab_n

كان هناك سيد، لكن السيد ذهب. كان هناك أكثر من سيد لكنهم جميعهم ذهبوا. يا لها من تشكيلة! واحد من كل نوع...

سأستلقي في السرير طوال اليوم، أسحب الستائر، وألقي بهذا العالم اللعين خارجا.

*

Twitter: @ketab_n

القسم الثاني

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تتشابه الأشياء، في الساعة الثالثة كنت أرتدي ملابسي لمقابلة الروسي.

إنه ينتظر، يقول بأن صديقه سيرجي ينتظرنا. «الرسام» كما يدعوه.

اقترحت أن نستقل سيارة أجرة، لكنه يبدو مرعوبا من الفكرة.

«لا، لا سنذهب بالباص. المكان قريب من هنا. إنه يبعد بضع دقائق فقط.» «لا يمكننا أن نمشي إذا؟» «أوه نعم بإمكاننا أن نسير، إنه فقط عند منعطف دي أورلينز. يبعد مدة خمس دقائق فقط. أناقشه: «بل قل ربما نصف ساعة».

قريبا سيحل الشتاء. هناك بالكاد بضع أوراق على الأشجار. والرجل خارج حدائق لكسمبورغ يبيع الكستناء المشوي.

وقفنا في نهاية الطابور الطويل. لا حافلة.

«هل نأخذ سيارة أجرة» «حسنا، إذا وددت ذلك» يقول هو غير مرحب. «لكن السائق سيكون مستاءً جدا لأخذنا لهذه المسافة القريبة -بلاس دينفرت- روشيرو، الميترو، يقول للسائق. -«لن يكون بعيدا السير من هناك» «لكن ألا نستطيع أن نذهب مباشرة للمكان حيث يقيم صديقك؟» «لا، لا أعرف اسم الشارع» «لا تعرف اسم الشارع؟» «كلا لم ألحظه يوما».

وأنا أراه ينظر بقلق للعداد شعرت بالأسف لإصراري على أخذ سيارة الأجرة. في جميع الأحوال، كنت سأقع ميتة لو أنني سرت كل هذه المسافة.

Twitter: @ketab_n

«اسمح لي أن أدفع، لأني من أصر على أخذ سيارة الأجرة».

لكنه كان قد أخرج النقود من جيبه وبدأ في عدها.

يأخذ ذراعي ونبدأ في المسير، «إنها دقيقة واحدة فقط، دقيقة واحدة» يستمر في قول ذلك.

السير وموسيقى لارلسين، أتذكر المعطف الذي كنت أرتديه حينها. -أبيض وأسود بجيوب طويلة. تعدينا للتو الفندق الذي كنت أقيم فيه. تلك كانت أسوأ حالة وصلت لها -كان قد مر علي ثلاثة أسابيع منذ آخر مرة أكلت فيها، ما عدا القهوة والكرواسان في الصباح.

كنت أنام معظم الوقت، لذلك ربما كان الأمر سهلا. ربما لو كنت أتنقل أكثر لكان الأمر أسوأ بكثير. كنت أنام لخمس عشرة ساعة من الأربع وعشرين ساعة في اليوم.

مرتان قلت بأنني مريضة، وأرسلوا لي حساء باللحم من الأسفل. وفي مناسبات قليلة كنت آخذ زجاجة نبيذ من المحل في الزاوية. لم يكن تجويعا تاما إذا ما فكرت به. ورغم ذلك أنا لا أقول بأنه لم تكن هناك لحظات تثير الفضول.

بعد الأسبوع الأول كنت قد اتخذت قراري بالانتحار. بشكل عادي بنفحة من الكلوروفورم. الأسبوع القادم، الشهر القادم، أو السنة القادمة سأقتل نفسي. وأكون ربما قد سددت إيجار الشهر، الذي قد حان موعده وديون إفطاري في كل صباح.

«يا صغيرتي لا تستعجلي، الأبدية أمامك بكاملها» كانت تقول ذلك بسخرية. الأخت ماري -أوغستين، لأني كنت بطيئة جدا. لكن التعبير بقي معي. لدي الأبدية بكاملها أمامي. قريبا سأتمكن من فعل ذلك. لكنني لست مستعجلة، الأبدية أمامي..

Twitter: @ketab_n

على غير العادة، في الوقت المستقطع بين نومي بعد الظهر ونومي في الليل خرجت لأتمشى. سرت لنقطة معينة وعدت. وذات مساء كنت أسير ويديّ في جيوبي مطأطئة رأسي. منذ ذلك الحين اتخذت عادة أن أسير مطأطئة الرأس... كنت أسير في حلم، في ضباب، عندما أتى رجل وتحدث إلي.

لم يكن أمرا مأمولا، وأيضا لم يكن مرغوبا به. ما أردته هو أن أذهب في مسيري المعتاد، آخذ زجاجة من النبيذ وأعود للفندق لأنام. على كل حال لقد حدث الأمر، وهأنذي، الحياة غريبة عندما تتقلص للحاجات الأساسية.

ذهبنا لمقهى البافلو، هل كنت سأطلب بعض المقبلات؟ بالطبع سأفعل. وصل كأسان من الشراب.

بدأت أفكر في الطعام، ربما طبق من التشوكروت، من المفترض أنه بإمكانك الحصول على طبق من التشوكروت غارنييه هنا. نقانق رائعة، بطاطس رائعة، ملفوف رائع، رائع..

بدأ لعابي يسيل بقوة. بدأت في احتساء الشراب لأستطيع الابتلاع ببطء. وبعدها شعرت بأنني إلهة، ربما جعلني أشعر بالغثيان، لكنه فعل الشيء الآخر أيضا.

الفرقة كانت تعزف لارلسين أتذكر ذلك جيدا. لقد تمكنت توا من الاستماع لتلك الموسيقى الآن، في أي وقت، وأنا عائدة إلى مقهى البافلو، جالسة إلى جوار ذلك الرجل، والموسيقى تعزف بشدة، وهو يتحدث عن صديق ثري جدا لديه صورته مطبوعة على علبة السيجار. حديث مجنون.

«يوما ما» يقول «أنا أيضا سأكون ثريا، وسأطبع صورتي على علب السيجار التي أقدمها لأصدقائي. ذلك هو طموحي».

هل بإمكاني الحصول على كأس آخر من الشراب؟ بالتأكيد لقد احتسيت كأسا آخر من الشراب «طعام؟ لا أريد أي طعام الآن. أريد المزيد من هذا

Twitter: @ketab_n

الشعور -نار وأجنحة».

ها نحن نثرثر كما لو أننا عرفنا بعضنا لسنوات. يقرأ لي رسالة وصلته للتو من فتاة.

ماذا بها؟ أشعر بأنها رسالة يجب أن يشعر أي رجل بالفخر أنها وصلته. كل شيء عن قلق وخوف وتشنجات ونجاح لا يرقى إليه الشك.

«عزيزي، عزيزي تذكر بأنك طفل..» اعتراف، تلك كانت الرسالة.

لكن العبرة كانت في النهاية، الفتاة تريد زوجا جديدا من الأحذية، وتريد ثلاثمئة فرانك لشرائه. حبيبي، ستتذكر كل تلك الساعات التي قضيناها معا ولن ترفض أن تمنحني بعض المال عندما أخبرك بأن حذائي اهترأ. أنا أخجل من الخروج في الشارع. حتى الخادم يعلم بوجود ثقبين كبيرين في فردتي حذائي. حقا يخجلني أنني بهذا الفقر. أجلس معظم الوقت في غرفتي. ولذلك حبيبي، إلخ... إلخ... إلخ.

إنه يمضغ ويمضغ على رسالته، «لا أستطيع تصديق ذلك» يقول، «كله كذب، إنه خداع، إنه فخ، تلك الفتاة، تفهمين هي كاذبة. هي تريد ثلاثمئة فرانك لتعطيها لقوادها. هل سأعطيها ثلاثمئة فرانك لقوادها؟ لن أفعل، لن أفعل... لا يهم» يقول «لا أستطيع تحمل فكرة تلك المسكينة بثقوب في حذائها، من الممكن أن يكون الأمر مضحكا أن تسير وأقدامك على الأرض».

«لا الأمر ليس مضحكا» أقول أنا. «بالذات في يوم ممطر».

«حسنا، ماذا تعتقدين؟ تظنين بأن هذه الرسالة صادقة؟ ماذا تتوقعين؟».

كل كلمة كانت قد لفظت بعد أن أنهينا كأسنا الثاني.

«بالإضافة لذلك، حتى وإن كانت الرسالة صادقة، لا يجب أن أرسل لها المال دفعة واحدة، ليس من الممكن أن أفعل ذلك، إذا تصورت بأنها ستحصل عليه بمجرد سؤالها، هذا لن يحدث، لا، لا، يجب أن أدعها تنتظر».

Twitter: @ketab_n

مضغ، مضغ، مضغ...

«لا، أعتقد بأنها تكذب».

كل الوقت كان يحدق بي، يقيسني، وضع يده على ركبتي من تحت الطاولة.

إنه ليس باريسي. يقيم في «ليل»، يقيم في شقة صديق. يقول بأنها شقة جميلة جدا. هل سأذهب لهناك وأحتسي قليلا من الشراب؟... حسنا، لم لا؟

كيف يبدو هذا الرجل؟ لا أتذكر. لا أعتقد بأنني نظرت إليه أبدا. أتذكر أنه كانت لديه يدان صغيرتان وأنه كان يرتدي خاتما بحجر أزرق.

خرجنا للشارع. وبالطبع مع أول نسمة هواء نقي وأنا ثملة جدا ولا أستطيع السير.

«مهلا، هل رقصت كثيرا؟» يقول «جميع الشابات يرقصن كثيرا، مجنونات باللذة. كل الشباب.. آه، ما الذي سيحدث لجيل ما بعد الحرب؟ أسأل نفسي، مجانين اللذة... لكن سنأخذ سيارة أجرة».

قطعنا الشارع مترنحين، وتوقفنا تحت شجرة مريضة من أشجار المدينة ننتظر إشارة لسيارة أجرة. وبدأت أضحك. وهو يحرك يده بطول ذراعي.

أقول: «هل تعرف مابي حقيقة؟ أنا جائعة. لم آكل تقريبا لمدة ثلاثة أسابيع».

«ماذا؟» يقول « إلام تشيرين؟».

«من أجل التنويع» وأنا أضحك بصوت أعلى.

«إنها الحقيقة، لم أتناول أي طعام منذ ثلاثة أسابيع» (أبالغ كعادتي).

في تلك اللحظة مرت سيارة أجرة. بلا أي كلمة دخل السيارة. صفق الباب وانطلق. تاركا إياي واقفة هناك على الرصيف.

Twitter: @ketab_n

هل اكترثت؟ أبدا. أبدا. إن كنت تظن بأنني اكترثت، أنت لم تعش هكذا أبدا، تغوص في حلم. عندما تكون كل الوجوه أقنعة والأشجار وحدها الحية وبإمكانك أن ترى تلك النظرات التي تجذب الجراء، كما هي الحقيقة البشرية -هل يستحق الأمر شيئا ما؟

أتوقع أن الرجل يتصور أن القدر يتآمر عليه -مع حذاء صديقته وأنا أريد طعاما. لكن هأنتذا، إذا كنت مصرا على أخذ الناس بثمن بخس، لا تستغرب إذا ما شاركوك قصصهم التعيسة في وقت ما.

في منتصف الليل أستيقظ، أبدأ بالبكاء. ما الذي يحدث لي؟ أوه، حياتي، أوه، شبابي.. هناك بعض النبيذ متبق في الزجاجة. أحتسيه، الساعة تتكك، تنام...

الناس يتحدثون عن حياتهم السعيدة. الحياة السعيدة عندما لا تكترث بعدها إن كنت ستعيش أو تموت.

تصل لهناك بعد وقت طويل والكثير من سوء الحظ.فهل تظن أنه تم تركك هناك؟ أبدا.

وما إن تصل إلى جنة اللااكتراث هذه، يتم سحبك منها. من جنتك ويجب أن تعود لجهنم. عندما تكون ميتا بالنسبة لهذا العالم، العالم غالبا ينقذك. فقط ليتمكن من السخرية منك.

السير إلى موسيقى لارلسين.. أشعر بملمس جيوب المعطف الأنيق، وأنا مندهشة من ملمس الفرو في هذا الذي أرتديه... استجمعي نفسك، عزيزتي، هذا آخر أكتوبر 1937 وهذا المعطف القديم قد انتهى عمره منذ زمن طويل.

نصعد السلالم لمجمع من شقق الأستوديو في غرفة واسعة، باردة وفارغة، مع أقنعة على الجدران، كرسيان قديمان بمسندين، وآخر خشبي

Twitter: @ketab_n

بظهر مستقيم. مكتوب عليه «هراء» الإجابة النهائية لكل شيء؟

الصديق يهودي في حوالي الأربعين من عمره. لديه تلك النظرة الهازئة لليهودي، ذلك من الممكن أن يكون جذابا جدا، من الممكن أن يكون حزينا جدا.

يواصل وضع قطع من الجرائد القديمة في الفرن.

«لن تحترق، إنها في مزاج سيء اليوم. سأحضر الشاي» يقول «الماء سيغلي قريبا».

«أقنعة من غرب أفريقيا؟».

«نعم، مباشرة من الكونغو... صنعتهم. هذا ليس سيئا».

ينزله ليريني إياه. فتحتا العينين القريبتان تحدقان بي. أعرف هذا الوجه جيدا. رأيت الكثير مثله. كاملا مع سيقان وأجساد.

يبدون بهذه الطريقة وهم يقولون: «لم أغرقت نفسك في السين؟».

بتلك الطريقة يبدون وهم يقولون: «ما الذي كنت تفعلينه هنا بالأمس؟» يبدون بهذه الطريقة وهم يقولون: «ما هذه الحكاية؟» يحدقون بك. من أنت في جميع الأ حوال؟ من هو والدك وهل تمتلكين المال، وعندما لا تفعلين، لم لا؟ هل أنت واحدة منا؟ هل تفكرين كما قيل لك أن تفكري، وتقولي كما يجب أن تقولي؟ هل أنت حمراء، بيضاء أو زرقاء –جيلي، بودنغ أم كافيار؟

وضع سيرجي بعض الموسيقى الهندية. موسيقى المارتينيك على غرامافون قديم في الزاوية ويسأل إن كنت أود الرقص.

«لا، من الأفضل أن أراك».

يمسك القناع على وجهه ويرقص.

Twitter: @ketab_n

«حتى تضحكين» يقول.

يرقص بشكل جيد. هو نحيف، جسد متوتر يبدو غريبا، يعلوه هذا القناع البشع. دلمار جاد جدا وصحيح. يصفق بيديه أحيانا مع الموسيقى.

«هل كنت ترقصين كثيرا؟ لا تتوقف».

«جنون نحو المتعة، كل الشباب». «من فضلك لا تتوقف»

الغرامافون يطحن للخارج «لوعة الحب.. لوعة الشباب...»

مستلقية على الارجوحة أنظر لأغصان الشجرة، صوت البحر يعلو ويهبط كما لو أن بابا يغلق ويفتح. طوال اليوم كانت هناك ريح تهب، لكن عند الغروب هدأت. التلال تبدو كالغيم، والغيم يبدو كالتلال الرائعة.

ألم الحب

ألم الشباب

ابتعد عني

ابق بعيدا عني

لا أود رؤيتك

لا مزيد، لا مزيد..

ثم تكلمنا عن الموسيقى الزنجية والملاهي الليلية في مونبرناس. الهاي بول؟ لا، الهاي بول لم يعد جيدا، أوه، حقا؟ نعم لا يذهب أحد هناك بعد الآن. لكن كوبان كبن في مونبرناس جيد. ربما يعجبك، إنهم يعزفون بشكل جيد هناك، إنه مكان فرح.

أتحدث بهدوء، بهدوء شديد، عندما هناك مرة أخرى -الدموع في عيني، تتدحرج الدموع على وجهي. أنقذت، لكني لست جيدة كمن يبدأ من جديد.

«أعتذر، كم أنا غبية، لا أعلم ما بي».

Twitter: @ketab_n

«أوه سيدتي، أوه سيدتي» يقول ديلمار. «لم تبكين؟».

«أنا غبية، من فضلك لا تلتفت لي، لا تلتفت لي، وسأكون بخير».

«لكن ابكي» قال الرسام «لم لا تبكين؟ أنت بين أصدقائك».

«لو كان بإمكاني الحصول على كأس...».

«شراب. لدي بعض البورتو في مكان ما...».

يبحث في المكان ويخرج ثلاثة كؤوس من تلك التي يشرب فيها الساكي.

«الياباني» أقول بذكاء.

لا يجيب، ويواصل بحثه عن الزجاجة. يسكب ما تبقى من الزجاجة، مقدار كوب من الساكي، هذا، شراب!

لدي تلك الحاجة الملحة إلى مشروب قوي، طويل ليجعلني أنسى، أنسى أنني منحت هؤلاء البشر الملاعين الفرصة ليشفقوا علي وليضحكوا مني.

أقول بصوت عال، عدائي: « اذهب وأحضر لنا زجاجة من البراندي» أخرج النقود من حقيبتي وأعطيه إياها. هنا حيث بدأ سيرجي يشعر بمسؤولية تجاهي. لم يقبل المال ولم يرفضه -يتجاهل. يتجاهل تماما ما قلته والطريقة التي قلته بها. يتجاهل كما لو أنه لم يحدث أبدا. وأنا أعلم ذلك تماما. بالنسبة له الأمر لم يحدث إطلاقا. إنه يفكر في أمر آخر.

«لا تشربي الآن، لاحقا إذا وددت سأحضر لك الشراب، الآن سأصنع لك بعض الشاي» يأتي حاملا الشاي ويضع به بعض الليمون، طعمه جيد بالنسبة لي.

«أحيانا أود أن أبكي، تلك هي المميزة الوحيدة التي تتمتع بها النساء أكثر من الرجال. على الأقل بإمكانهن البكاء».

ونتناقش بمنتهى الجدية في موضوع العويل.

Twitter: @ketab_n

ديلمار لا يبكي بسهولة. يقول، لا، ليس بتلك السهولة. الرسام، يبدو أنه بكى على فان جوخ، يتحدث عن «المجهود الفظيع، المجهود الدائم، ما فعله يتخطى العقل الإنساني» إلخ، إلخ...

عندما أعطاني سيجارة كانت يده ترتجف. إنه لا يكذب. أعتقد أنه بكى فعلا على فان جوخ.

نشرب المزيد من الشاي. المدفأة تقريبا انطفأت والجو بارد جدا، لكن يبدو بأنهم لا يلاحظون الأمر. أنا سعيدة بمعطفي. أعتقد بأنني يجب أن أطلب رؤية صورته، لكنه مندفع بالكلام بحيث لا يمكنني مقاطعته. إنه يتحدث عن تجربة مر بها في لندن.

«أوه، هل عشت في لندن؟».

«نعم، لقد كنت هناك لبعض الوقت. لكني لم أمكث طويلا. لا، لكني حصلت على بدلة أنيقة».

يقول «كنت أبدو إنجليزيا من العنق لأسفل. وكنت فخورا جدا.. كنت أقيم في غرفة قريبا من بوابة نوتينج هيل. هل تعرفينها؟».

«أوه نعم، أعرفها.»

«غرفة مريحة جدا. لكن في يوم من الأيام هذا ما حدث. ونحن نتحدث عن العويل.. ما أزال أتذكر ذلك... كنت أجلس قرب النار. سمعت ضجيجا كما لو أن أحدا وقع في الخارج. فتحت الباب وكانت هناك امرأة مستلقية تماما في الممر تبكي. قلت لها: ما الأمر؟ كل ما فعلته أنها واصلت البكاء.. حسنا» فكرت «لا علاقة لي بالأمر» أغلقت الباب بإحكام. لكنني ما أزال أستطيع سماعها. فتحت الباب ثانية وسألتها: «ما الأمر؟ هل هناك ما يمكن أن أفعله لك؟» قالت: «أريد شرابا» «مثلي تماما» قلت «بكيت وطلبت كأسا». هو بالتأكيد يحب الكلام، هذا الرسام، هل يحاول التلميح لي؟

Twitter: @ketab_n

«لا، لا ليست مثلك أبدا» يواصل: «قلت لها ادخلي إن وددت ذلك. لدي بعض الويسكي. لم تكن امرأة بيضاء. كانت نصف زنجية. كانت تبكي لمدة طويلة جدا من الصعب التنبؤ إن كانت جميلة أو قبيحة، يافعة أم كبيرة. كانت ثملة أيضا. لكن هذا لم يكن سبب بكائها. كانت تبكي لأنها كانت في نهاية كل شيء. كان هناك هذا الصوت في بكائها، الصوت الذي لا يمكن أن تخطئه أبدا. –مثل موسيقى معينة... وضعت ذراعيّ حولها، ولكن ليس كما يضع رجل يديه حوله امرأة. كانت تبدو كشيء تحول إلى حجر. طلبت الويسكي مرة أخرى. احتسته وبدأت حكاية طويلة جدا. تتحدث أحيانا بالفرنسية وأحيانا بالإنجليزية. وبالطبع حينها كنت لا أفهم جيدا ما تقول. هي قادمة من مارتينيك كما تقول وقابلت هذا السيد في باريس. السيد الذي كانت معه في الطابق العلوي. كل من في المبنى يعرفون بأنهما لم يكونا متزوجين. كما لو أنه لم يكن الأسوأ أنها لم تكن بيضاء. كانت تقول بأنها كانت ترى كم كانوا يكرهونها. والناس في الشوارع ينظرون لها بنفس الطريقة.

في البداية لم تكن تكترث، كانت تعتقد بأن الأمر هزلي، لكنها الآن قد تفعل أي شيء كي لا ترى الناس. أخبرتني أنها لا تخرج، إلا بعد أن يحل الظلام. لمدة عامين. عندما أخبرتني بهذا تولّد لدي شعور عميق كما لو كنت أنظر لحفرة. كان التعبير في عينيها. قلت: «لكن هذا السيد الذي كنت تقيمين معه؟ ما أمره؟» «أوه إنه إنجليزي جدا، يقول بأنني أتخيل كل شيء» «أسألها ألم يجد الأمر غريبا أنها لا تخرج أبدا؟» قالت «لا، كان يجد الأمر طبيعيا». تكلمت لوقت طويل عن هذا السيد. يبدو بأنها بقيت معه لأنها لم تجد مكانا آخر تذهب إليه. وبقي هو معها لأنه أعجب بطريقة طبخها. وكل هذا يبدو سخيفا بعض الشيء. لكنك لو نظرت إلى هذه المرأة لعرفت لماذا لم أتمكن من نسيانها. قلت لها: «لا تتركي نفسك لتصبحي هيستيرية. لأنك ما إن تفعلي ستكون تلك هي النهاية.» لكن كان من الصعب الحديث معها بالمنطق. لأنني

Twitter: @ketab_n

طوال هذا الوقت كنت أشعر بأنني كنت أتحدث لشيء لم يعد إنسانيا، لم يعد حيا».

«إنها قصة حزينة جدا،» أقول «متأكدة بأنك كنت طيبا معها».

«لكن هذا ما حدث، في الواقع لم أكن. أخبرتني بعد الظهر أنها تشعر بتحسن، وأنها تود الخروج للسير.. رغم أنه لم يكن قد حل الظلام بعد» تقول، في طريقها للخروج صادفت فتاة صغيرة ابنة أحد المقيمين. هذا المنزل كان واحدا من تلك المنازل التي تتكون من عدة طوابق، ويقيم فيه عدد من العائلات.

قالت للفتاة الصغيرة: «مساء الخير...» إنها قصة طويلة جدا. وبالطبع، كما قلت، لم أستطع فهم كل ما قالته لي. ولكن يبدو بأن الطفلة قد قالت لها بأنها امرأة قذرة، وأن رائحتها عفنة، وأنها لا تملك أي حق لتتواجد في هذا المنزل.

«أكرهك وأتمنى لو كنت ميتة» قالت الطفلة. وبعد ذلك شربت زجاجة كاملة من الويسكي. وها هي أمام بابي. حسنا، ما الذي من الممكن أن تقوله لحكاية مثل هذه؟ كنت أعلم جيدا أن كل ما تريده أن أمارس معها الحب، ذلك كان الشيء الوحيد الذي من الممكن أن يخرجها من الحالة.

ولكن في الحقيقة لم أستطع، كل ما فعلته أنني أعطيتها الشراب الذي لدي، وخرجت بالكاد تستطيع المشي...

كانت هناك امرأتان أخريان في المنزل. إحداهما بفم مقفل نحيف وأخرى سمينة بضحكة داعرة. في الحقيقة لم أسمع أي منهما تتحدث للمارتنيك، لكن لهما عينان قاسيتان، كلاهما... لم تعجبني الطريقة التي كانتا تنظران بها نحوي، كلاهما... لكن ربما كل النساء لديهن عيون قاسية، ما رأيك؟

أقول: «أعتقد أن معظم البشر لديهم نظرات قاسية» تلك القسوة

Twitter: @ketab_n

الزهرية، الخشبية، البريئة. أعرف.

«في الصباح التالي التقيتها على الدرج، وقلت لها صباح الخير، لم تجبني.. عندما رأيت الطفلة تخرج لسانها للمخلوقة المسكينة. في السابعة أو الثامنة. لكنها تعرف تماما كيف تكون قاسية ومن هو الشخص الذي تكون قاسيةً معه دون خوف.

طبيعيا... لقد حصلت على كراهية مذهلة في المنزل بعد ذلك. في كل مرة كنت أدخل كنت كمن يعبر جدارا. واحد من هذه الجدران التى بنيت من بشر وما زالوا أحياء. لم أنس ذلك أبدا، حقا، كل الوقت الذي كنت به في لندن، كنت أشعر بالاختناق. كما لو أن مؤخرة كبيرة كانت تجلس علي».

«بالطبع بعض البشر يشعرون بذلك، و آخرون لا، الأمر نسبي».

«إنها السادسة، هل تمانعين أن أتركك هنا مع صديقي، سيريك كل شيء، من فضلك ابقي، سأعود بعد ساعة. لكن يجب أن أذهب الآن، لدي موعد ويبدو أنني تأخرت نصف ساعة أصلا. ابقي في المنزل».

إن الحديث مع ديلمار يصل في أحسن الظروف إلى هذا. يبدو كما لو أنك في ريو دو باك. يلتفت للباب ومع التعبير الساخر بشكل ظاهر تماما يقول شيئا بالروسية، على الأقل أفترض أنه بالروسية.

ديلمار يضع مصباحا ضعيفا في منتصف الغرفة. ويتقدم لي، ثم بشكل متردد يأخذ يدي ويقبلها. ثم يقبل خدي.

«عندما بكيت كنت حزينا جدا».

أقبله. بصوت عال جدا. قبلا لا معنى لها. كجنرال فرنسي يمنح أحدهم وساما، فتى لطيف..

«ما الذي قاله قبل أن يخرج؟».

Twitter: @ketab_n

«قال بأنك إن لم تريدي شراء لوحة فلست بحاجة لذلك، لا أحد يتوقع منك شراءها».

«أوه، ولكنني أريد، حقا أريد واحدة».

«انتظري، أعرف كيف يمكن أن نرتبها. حتى تستطيعي فعلا أن تري اللوحات».

هناك الكثير من البراويز الفارغة معلقة على الجدار. ديلمار يرتبها حول الغرفة، ويضع القماش فيهم واحدا واحدا. القماش يقاوم. وينثني. إنه لا يريد أن يحبس في إطار. يدفعهم دفعا، ليضعهم في الداخل ويبقيهم. بشكل مناسب.

«هل يجب أن نفعل ذلك؟ ما الذي سيقوله عندما يعود؟».

«أوه، ليس مهما. لا بأس في ذلك. أود أن تريهم».

عندما انتهى كانت اللوحات ملقاة على الأرض على ثلاث جهات من الغرفة. «الآن بإمكانك رؤيتهم».

«نعم، الآن بإمكاني رؤيتهم».

أنا محاطة باللوحات. مدهش كم تبدو حية في هذا الضوء الخافت. الآن الغرفة تتسع، والشريط الزجاجي حول قلبي يتسع.. أنا سعيدة. المعجزة حدثت.

أنظر للصور. أدخل في حلم ضبابي، ربما في يوم من الأيام سأقيم ثانية عند الزاوية في غرفة فارغة كهذه. لا شيء بها سوى سرير ومرآة. أشعل المدفأة في حوالي الثانية ظهرا. والبرد والمدفأة يتصارعان.

أستلقي عند المدفأة في سلام تام. أتناول الخبز مع الباتيه على سطحه. ثم أتناول مشروبا وأنا مستلقية لطول فترة بعد الظهر في هذه الغرفة الفارغة.

Twitter: @ketab_n

لاشيء فيها سوى سرير ومرآة، ومدفأة. وفي الخارج باريس، والأحلام التي تمتلكها، وحيدة في غرفة فارغة، منتظرة هذا الباب أن يفتح، هذا الأمر المقيد ليحدث...

هل كانت بعد السابعة عندما عاد سيرجي. دخل بسرعة، معتذرا «أنا آسف، لقد تأخرت».

يتحدث لديلمار بالروسية. هل يقول «حسنا، هل كانت جيدة؟» أم هل يقول «هل ستشتري صورة وستدفع ثمنها؟» آخر شيء أفكر، النبرة تبدو كما لو أنها تتعلق بالعمل.

«أريد جدا أن أشتري إحدى لوحاتك -هذه».

إنه عجوز يهودي بأنف أحمر. يعزف على آلة البانجو.

«سعرها ستمئة فرنك» يقول «إذا كنت تعتقدين أن هذا كثير، من الممكن أن نحدد سعرا آخر».

كل جاذبيته، وسهولة أخلاقه قد ذهبت. يبدو متحمسا ومتأكدا. أقول بغرابة «لا أعتقد بأنها كثيرة، لكنني لا أمتلك المال..».

قبل أن أتمادى أكثر انطلق في ضحك هستيري «ماذا قلت لك؟» يقول لديلمار. «لكن خذيها، كيفما اتفق، تعجبينني، سأعطيك إياها كهدية».

«لا، لا كل ما قصدته أنني لا أستطيع الدفع لك الآن».

«أوه، لا بأس، بإمكانك إرسال المال من لندن، سأخبرك ما الذي يمكن أن تفعليه لي بإمكانك أن تجدي مغفلين آخرين يودون شراء لوحاتي».

عندما قال هذا، كان يبتسم لي بلطافة بالغة. ملمس اليد البشرية... كنت أكاد أنسى كيف يبدو ذلك.. ملمس يد بشرية.

«أنا جاد فعلا، خذي اللوحة، وادفعي لي المبلغ متى ما استطعت».

Twitter: @ketab_n

«بإمكاني أن أعطيك إياه الليلة».

تجادلنا لبعض الوقت حول أين يجب أن نلتقي. «لا يمكنني الوقوف في مونبرناس الآن» يقول «تلك الوجوه، تلك الوجوه! تجعلني أشعر بالغثيان، مكان في كارتييه لاتين».

اتفقنا على كابولاد في العاشرة والنصف، لف لي اللوحة في ورق. ثم ربطها بخيط ما وأخذتها تحت ذراعي. «وأمسك يدي في مصافحة قوية وطويلة وقال «أصدقاء».

عندما صافحني بتلك الطريقة وقال «أصدقاء» كنت أشعر بسعادة بالغة...

خرجنا للفناء، أنا وديلمار. كانت ليلة باردة جدا، وصافية. الباب الخارجي كان مقفلا، تكلم مع البواب.

الآن أنا لا أفكر بالماضي بتاتا، أنا جيدة في الحاضر.

«كابولاد في العاشرة والنصف..».

الصور تسير معي، الأقزام المشوهة تتقافز ببالونات ملونة كبيرة جدا. النساء بأربعة صدور معروضة. المومسات العجائز ينتظرن بيأس عند المباول. الشابة منهم تحت مصباح الغاز.

في العاشرة وخمس وعشرين دقيقة -مجيدة بشكل معقول- كنت في الكابولاد. انتظرت لربع ساعة، عشرين دقيقة، لم يظهر أحد.. جيد جدا، هذا ما تحصلين عليه عندما تكونين مجيدة يا فتاتي. لكن الذراع الواقية تعمل بشكل جيد -لم أمانع شيئا البتة.

كنت قلقة فقط كيف سأستطيع أن أعطي هذا الرجل ماله. لا يمكنني الكتابة لأنني لا أتذكر رقم المنزل. هل يجب أن أضعه من تحت الباب وأن أثق بالحظ؟

Twitter: @ketab_n

وأنا أفكر بذلك أتى ديلمار. أنيق، قفاز في يده اليسرى.

«أعتذر، أنا آسف حقا، انتظرت الرسام في الأستوديو لمدة نصف ساعة ولم يأت. لم أعرف ما الذي يجب أن أفعله. فكرت أنه من الأفضل أن آتي هنا. كنت قلقا جدا».

«لا بأس، ليس مهما».

أعطيته المظروف مع المال. هل أغلق عينيه قليلا؟ هل كان على وجهه أي تعبير عن الراحة؟ نعم، أعتقد ذلك. ولم لا؟ لديه قلب؟ لم لا؟

عموما، كان يبدو منزعجا. حتى الآن بإمكانه أن يكون منزعجا، الأمر الذي ليس مستبعدا. هنا شخص يؤمن تماما بعقيدته. «لم أسأل أن أولد، لم أطلب أن أوضع في هذا العالم، لم أصنع نفسي. لم أصنع العالم كما هو. لست مذنبا. لذا لدي كل الحق» إلخ.. إلخ.. إلخ..

«الرسام!» يقول «إنه مجنون، الرسام.. هل أعجبك؟».

«نعم لقد أحببته كثيرا».

يضع قفازيه بحذر على الطاولة.

«هل تودين تناول بعض القهوة سيدتي؟».

«لا سأتناول البراندي من فضلك».

يبدو قلقا. يطلب البراندي وقهوة له. إلهي، هذا مريع!

«الرسام» يقول: (إنه مجنون، لا أعرف لم لم يكن مؤدبا، لكنه ما يمكن أن يفعله تماما، لأنه مجنون. تعرفين، قبل عامين هذا الرجل، كان يعيش... مريع... سخام، سيدتي... أقول له: «لا يمكن أن تستمر في العيش بهذه الطريقة» «لا يهمني» يقول..

كلمته وفي النهاية استطاع تأمين مبلغ يعطيه لمعرضه. ولوحاته تم

Twitter: @ketab_n

شراؤها، نعم لقد تم شراؤها... ثمانية عشر ألف فرنك. أمر لا يصدق، ومثل هذا المبلغ... ثم تحرك منها. انتقل لغرفته الجميلة والمحترمة حيث التقيته... لكنه بقي مجنونا).

استمر في الحديث عن الرسام. لمست أنه كان مبهورا ولكنه يغار قليلا. إنه لا يرى الانجذاب. لم، لم؟

«إذن أحببته؟».

«نعم، كثيرا جدا».

«أها» يقول بحزن، «هو ذا، لا يهم، لقد اكتفيت من هؤلاء اليساريين المتشددين» إن تصرفاتهم سوقية. أنا، أنا أتبع الملكية... وإن لم تمانعي، عندما قال بأنه من متشددي اليسار، كله غير منطقي. هو لا يعبأ حقا».

«بالطبع إنه لا يفعل».

«نعم، نعم.. أنا ملكية، ملكة، مثلا أو ربما أميرة. لا بد أنه شيء».

عندما يشعر هكذا، ما فائدة النقاش معه؟... أنا أوافق كل شيء، ملكة، أميرة، هذا أمر ما.

عندما سأل إن كان من الممكن أن يلتقيني مرة أخرى «حسنا، سأحاول» أقول: «لكنني مشغولة جدا».

لا أستطيع تحمل هذا الوضع، أن لا أستطيع تناول ما أريده من شراب. لأنه لن يسمح لي بأن أدفع. وبالطبع لا يود أن يدفع ثمن المشروب. إنه معقد جدا.

«سأغادر باريس الأسبوع القادم. أسرع مما توقعت».

هل سأخبره متى سأغادر ليستطيع الحضور لجار دو نورد، ليراني أغادر؟

«نعم، بالتأكيد. سيكون لطيفا منك أن تستطيع فعل هذا. من المحزن أن

Twitter: @ketab_n

يغادر المرء بدون شخص يقول له وداعا».

عندما عدت لغرفتي، بدأت بالقلق عليه، وحول المال الذي أنفقه علي. ثم فكرت «لابد وأنه سيأخذ نسبته من تلك الستمئة فرنك أو ربما لن يسلم المال أبدا».

تلك الفكرة جعلتني أضحك وأنا أخلع ملابسي.

*

وأنا أتسكع في الشوارع الضيقة قريبا من البانثيون بدأت تمطر.

أدخل في محل تاباك، المرأة على البار تعطيني إحدى تلك النظرات. ما الذي تريدينه هنا.. أنت؟ نحن لا نخدم السواح هنا، ليسوا زبائننا. حسنا، عزيزتي، سيدتي، لأخبرك الحقيقة ما أريده من هنا هو الشراب. -أفضل أن أشرب كأسين ربما ثلاثة.

في الخارج ظلام وبرد. وكل شيء ذهب مني ماعدا التعاسة.

«بيرنود» أقول للنادل.

ينظر لي بطريقة خبيثة، مستمتعة عندما يحضره. إلهي، إنه مضحك، أن تكون امرأة! وتلك الأخرى، تلك التي خلف البار، هل ستضحك أم ستقول شيئا عني بصوت عالٍ بشكل كافٍ لأسمعه؟ ذلك ما تشعر به

لا، أنها لا تقول شيئا... لكنها قالت كل شيء!

حسنا، لا بأس بهذا. شيري سيدتي. ومصنوع بشكل جيد أيضا. لم تقولي شيئا لكنك قلت كل شيء. لا تعبئي هأنذا هنا، وسأبقى هنا. خلف طاولتي هناك باب. الحمام -لا يحتاجون أن يذكروا ذلك. ثم آخر، باب أصغر. مطبخ، أسمع أصوات غسيل خلف هذا الباب. بعد قليل خرجت فتاة تحمل صينية مليئة بكؤوس نظيفة. تترك الباب مفتوحا. في الداخل، حوض مغسلة

Twitter: @ketab_n

والمزيد من الصحون المتسخة والكؤوس. تنتظر أن تغسل. هناك مكان فقط للفتاة لتقف، ورائحة لا تصدق تخرج من الحوض.

تمر دون أن تنظر لي. سيقان قوية عارية، نعلان، وثوب أسود. مريلة متسخة، شعر غليظ مموج وغير مرتب. أعرفها. إنها الفتاة التي تقوم بكل العمل القذر وتمنح القليل جدا من المال، تحية!

تدخل للغرفة خلف البار، تضع الكؤوس، تسير عائدة للخزانة وتغلق الباب عليها مرة أخرى. كيف تستطيع أن لا تضرب كوعيها كل مرة تتحرك فيها؟ كيف تستطيع الجلوس في هذا التابوت لمدة خمس دقائق دون أن يغمى عليها؟ ... آسفة لما هي عليه؟ لم يجب أن أشعر بالأسف؟ ألا تمتلك ساقين قويتين وشعراً مجعداً؟ أليست تلك اليدان اللتين تغنيان مرسيليا؟ وعندما تأتي الثورة، ألن تكون هاتان اليدان اللتين تقبلان؟ حسنا، هذا ما يقوله السيد رامبو، أليس كذلك؟ أتمنى أنه محق. أفكر، أفكر، أفكر.

أنادي النادل لأدفع، أعطيه بقشيشا كبيرا. ينظر له، يقول: شكرا. ثم «شكرا جزيلا» أسأله عن الطريق لأقرب دار سينما. هذا يظهر بالطبع من تلك الرغبة المتذللة في توضيح سبب وجودي في مثل هذا المكان. لقد دخلت هنا فقط لأسأل عن الطريق لأقرب سينما. أنا امرأة محترمة، زوجة مناسبة. في طريقها لأقرب دار سينما. كما يفعل غيرها -ذلك كان شعاري طوال حياتي، كما يفعل غيري، عليك اللعنة.

يهتم كثيرا، كان من الممكن أن أوفر على نفسي هذا العناء. لكن هذا هو شعوري في الحياة. من فضلك، من فضلك، سيدي، سيدتي، آنستي، آنسة. أبذل جهدا كبيرا لأكون مثلك.

أعرف بأنني لا أنجح، لكن انظروا لكل هذا المجهود الذي أبذل. ثلاث ساعات لأختار قبعة، في كل صباح ساعة ونصف أحاول أن أبدو

Twitter: @ketab_n

فيها كالجميع. كل كلمة أقولها لها سلاسل حول كعبيها. كل فكرة أفكر فيها تحمل أثقالا عظيمة. منذ ولدت وكل كلمة قلتها، كل فكرة مرت بي وكل ما فعلته كان مقيدا؟ مثقلا؟ مربوطا بالسلاسل؟ وبعد إذنكم. أعرف أنني رغم كل هذا لم أنجح. أو ربما قد نجحت في ومضات لعينة جيدة... لكن فكروا في كل هذا الجهد الذي بذلت. وكم من النادر أن أتجرأ. أفكر. وأمتلك قليلا من الشفقة. هذا إن فكرتم أبدا، أيها القرود، ذلك ما أشك به.

الآن والنادل قد انتهى من وصف أقرب دار للسينما.

«بيرنود آخر» أقول.

يحضره. يملأ كأسي للحافة تقريبا. ربما رغبة في بقشيش آخر. ربما ليراني ثملة في أقصر وقت ممكن. أو ربما أن الزجاجة انزلقت.

تخرج الفتاة بآخر مجموعة من الكؤوس. أنا سعيدة. لقد خطر لي للتو بأنه ربما لو لم أكن هنا، لكان باب تابوتها مفتوحا. ربما، لا يعني بأنني كنت سأغادر لو أن الأمر قد خطر لي من قبل. لم علي فعل ذلك؟ اليدان اللتان تعزفان مرسيليا، العالم الذي بإمكانه أن يكون مختلفا جدا. ما كل ذلك بالنسبة لي؟ ماذا يمكنني أن أفعل به؟ لاشيء، أنا لا أخدع نفسي.

لقد رتب الأمر. بإمكاني أن أبدا البرنود الثاني.

الآن شعوري بالغرفة مختلف. الجميع يعرف ما أنا. أنا امرأة أتت هنا لتثمل. يحدث هذا أحيانا. يتناولن مشروبا، هؤلاء النسوة، ثم آخر، ثم يبدأن في البكاء بصمت. ويدخلن للمغسلة ثم يخرجن مغطيات بالبودرة. لكن مع عيون غائرة، ورؤوس مطرقة. ينسلون للشارع.

«امرأة مسكينة، هناك دموع في عينيها»

«ماذا تتوقع؟ شربت..».

Twitter: @ketab_n

هذا هو، في صحتك سيدتي، أنا ثملة. لقد ثملت. لا شيء يمكن عمله حول هذا الأمر الآن. أنا ثملة. لكن في مواضع أخرى، هادئة، خائفة، مروضة، مستعدة لدفع بقشيش كبير. (سأمنحك بقشيشا كبيرا إن تركتني وحدي). جيد، جدا، جيد، جدا..

أحيانا يأتي شخص من أجل الطوابع. أو رجل من أجل شراب. ثم تستطيع رؤية الشارع في الخارج –مظلم. قوي، سحري...

«أوه، ها أنت» يقول، يدخل من الباب «ها أنت ذي،أين كنت كل هذا الوقت؟» لا أحد يعرفني عدا الشارع.

«ها أنت ذي» أقول أنا، أنهي شرابي وأنا ثملة، «تحية، تحية!»

(لكن أحيانا يكون مشمسا، تسير في الشارع بثوب زاه، مخطط بالأحمر والأزرق، لن أسير في هذا الشارع مرة أخرى)

في سينما دانتون. تشاهد فيلما عن رجل شاب جيد يحاول إنقاذ موظفه من عشيقة مرتزقة. رئيسهم مثليّ، ولد سيء يقوم بتصنيع قطع الحمام. الرجل الجيد فيه من الغرابة. الصلافة، الخجل، رثاء الرجال الشباب الجيدين. هو يقاطع الأحاديث الحميمة، يطرق بعنف على الأبواب، يحضر الرسائل والطرود.. إلخ.. في النهاية، السيدة تنزعج، وتذهب بعيدا. تلتفت للباب لتقول: «حسنا، سأترك لكم تحاميل خاصة».

الجميع يضحك بصوت عال على هذا. وأنا كذلك. تقوله بشكل جيد.

يستمر الفلم، بعد الكثير من التقلبات، الشاب الجيد ينتصر. يمتلك الإذن ليتقدم لابنة رئيسه، ينتظر على ضفة بركة واسعة. مع خاتم سيقدمه لها جاهز في جيب معطفه. يخرجه ليتأكد بأنه يحمله معه. يكاد أن يجن من السعادة، يسير جيئة وذهابا على أطراف البحيرة. يحرك الخاتم في يده، ومع حركة سريعة يقع الخاتم في البحيرة. يخلع سرواله، يخوض بها. يحاول

Twitter: @ketab_n

استعادته، يجب أن يستعيده.

بالضبط هذا ما يمكن أن يحصل لي. أضحك حتى تنزل الدموع من عيني. والفلم لا يبدي أي إشارة للتوقف، لذا أقف و أخرج.

برنود آخر في البار المجاور للسينما. أجلس في طاولة زاوية وأحتسيه باحترام. بعينين تنظران للأسفل. أنا امرأة مناسبة، للتو خرجت من أقرب سينما... أنا بخير الآن، شيري مدام. لو كنت امتلك زجاجة من البوردوعلى العشاء سأكون ثملة للحد الذي كنت أريده تقريبا.

هناك رسالة من الرسام في الفندق. يعتذر عن عدم حضوره في ذلك المساء. يجب أن تعذريني. يقول بأن ديلمار سلمه الستمئة فرنك. ويشكرني. هو يقول بأنني إذا لم أحبب اللوحة، ووجدتها حزينة جدا، فبإمكانه تغييرها لمنظر طبيعي، أو أي شيء آخر أريده وبأنه سيحاول أن يحضر في المحطة الشمالية، لتوديعي. (أراهن أنه لن يفعل). وأنه صديقي. سيرجي روبين.

حسنا، سأحتسي الويسكي لهذا.

أنشر اللوحة والرجل الواقف في الممر يلعب في البانجو، يحدق فيّ. إنه لطيف، متواضع، متقاعد، ساخر، مجنون قليلا. يحدق فيّ، لديه رأسان، لديه وجهان. يغني «لقد كان» يغني «سيكون». برأسين وأربعة أذرع... أحدق فيه في المقابل وأفكر في الجوع، في البرد، في الألم، في الغباء، كما لو أنه في حياة أخرى غير هذه.

هذه الغرفة الملعونة- مليئة بالماضي... إنه في كل الغرف التي نمت فيها. في كل الشوارع التي سرت فيها، كل شيء يتحرك الآن بترتيب معين، مواكب متموجة أمام عيني، غرف، شوارع، شوارع، غرف...

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

القسم الثالث

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

... الغرفة لدى ستين؛

كانت ممتلئة بأثاث أحمر فخم، الخشب يلمع، هناك عدة مزهريات من التوليب، قفصان للكناري، وهناك ساعتان، كل منهما تحاول أن تصدر صوتا أعلى من الأخرى. النوافذ كانت تقريبا دائما مغلقة، لكن الغرفة لم تكن عفنة.

عندما يفتح الباب في المحل بإمكانك أن تشم الأدوية والكولونيا. على طاولة في الخلف هناك إبريق كبير من الشاي قرب مصباح خافت، اللون الأزرق الخفيف يجعله يبدو كمذبح.

في تلك الغرفة ليس بإمكانك التفكير، لا يمكنك أن تضع مخططات، فقط بالطريقة التي تتكتك فيها الساعات، في الخارج الممرات الضيقة النظيفة، والآخرون يتحدوثون الألمانية وأنا أستمع، لا أفهم، كما لو أنك عدت طفلة مرة أخرى. تسمع.. وتفكر في شيء آخر، وتستمع للأصوات اللانهائية، لا مفر منها ومريحة كظهيرة يوم مشمس.

لندن.. لها صوت جميل، ولكن ما تعنيه لندن لي؟ إنها غرفة صغيرة، رائحتها متجهمة. وجواربي معلقة لتجف أمام موقد الغاز. لا شيء في تلك الغرفة كان نظيفا أبدا. لا شيء كان متسخا دائما أيضا. كل الأشياء كانت بين بين. يغيرون غطاء واحدا كل مرة. لذلك فالسرير لم يكن نظيفا تماما ولم يكن متسخا تماما. أفكر: «لقد هربت من كل ذلك. في جميع الأحوال، لن أعود، لن أعود».

Twitter: @ketab_n

أحببت توني، كانت رقيقة، لكنني كرهت هانز ستين.

لديه نظرة تهديدية. لم يهدد، كان مؤدبا جدا. لكن عينيه الزرقاوين لهما هذه النظرة. ويداه كذلك.

شوارع ضيقة مع أناس يذهبون ويجيئون. بشكل مرتب، في الحديقة، هاغاش بوش، الأشجار مقلوبة في الماء الأخضر الثلجي.

نذهب كل يوم للمركزي من أجل المقبلات، نأكل قليلا حيث يعزف الكمان نغمات مؤثرة بشكل جيد. (هل ستعزف لوبينيو للسيدة؟..).

ليس لدي المال، هو ليس لديه أيضا. كل منا يظن بأن الآخر لديه المال. لكن الناس تفعل أشياء مجنونة في كل مكان. الحرب انتهت، لا مزيد من الحرب، أبدا، أبدا، أبدا، سنوات ما بعد الحرب ستكون أعواما جيدة في كل مكان... ولن أعود للندن. ليست جيدة، ما الذي سأعود اليه في لندن؟

لكن لا مال؟ لاشيء؟ ... والرسالة في حقيبة يدي، «لابد وأنك غاضبة، إذ أصررت على فعل ذلك...».

مزهرية طويلة مع زهور توليب مترامية الأطراف على الطاولة. كيف يمنحون أنفسهم! «ربما لأنهم يعلمون بأنه ليس لديهم شيء آخر يمنحونه» يقول إنو.

يتذكر باريس، حيث عاش منذ أن كان في الثامنة عشرة. كان كاتب أغان، كما يبدو، قبل أن يصبح صحافيا. نشر في الأسبوع الأول من الحرب. من 1917 إلى ما بعد.. كان يبدو مزدهرا عندما التقيته في لندن. لكنه الآن بلا نقود، لا شيء. ما الذي حدث؟ هو لا يخبرني.

لكن عندما نعود لباريس الحياة الجيدة ستبدأ مرة أخرى. إلى جانب، لدينا المال. بيننا لدينا خمس عشرة باوندا.

Twitter: @ketab_n

لا يهم، لم أفكر حقا في أننا يجب أن نتزوج. يوما ما سأقوم بوضع خطة سأعرف ما الذي يجب أن أفعل...

ثم أستيقظ. يوم زفافي. بارد وممطر. أضع البدلة الرمادية، تلك التي عملها لي خياط في دلفت حسب الطلب. لا تعجبني كثيرا. إنو يأتي حاملا باقة من سوسن الوادي. يثبتها في معطفي ويقبلني. نأخذ سيارة أجرة ونمضي في المطر لقاعة المدينة ونكون متزوجين مع الكثير من الأزواج، جميعا واقفون في دائرة. نخرج من قاعة المدينة نحتسي شرابا واحدا مع توني وهانز، ويعودان للمنزل من أجل متابعة المحل، ونحن نذهب لمكان آخر. لا أحد آخر هناك. إنه مبكر جدا. نحتسي كأسين من الشراب، ثم كأسين آخرين.

«كم هو غبي كل هذا!» يقول إنو.

نحتسي المزيد. إنها المرة الأولى في ذلك اليوم التي أشعر فيها بالدفء والسعادة.

أقول: «لن تتركني أبدا، هل ستفعل؟».

«لنذهب، لنذهب، قليل من الفرح» يقول إنو.

لديه صديق اسمه ديكسون، رجل فرنسي، يغني في سكالا. يدعو نفسه ديكسون لأن المغنين الإنجليز كانوا مشهورين في ذلك الوقت. نذهب لشقته بعد الظهر ونشرب الشمبانيا. الجميع يبدو سعيدا جدا. لويس ولويز، راقصو التانغو، أيضا في الكباريه، يقدمون لنا عرضهم، ديكسون يغني «في هذه الأوقات الصعبة»:

ذلك الثوب المضحك الذي ترتدين
يترك ظهرك وكتفيك عاريين
لكنك محظوظة لترتديه هنا
في هذه الأوقات العصيبة

Twitter: @ketab_n

إنو يغني:

عندما لا تمتلكين حذاءً

افعلي كالمستأجرين

تأخذين سيارة

لا تستطيعين رؤية قدميك!

لذا تحدثي عن الجوارب:

لا يجب أن تنظف

يجب أن نعود، إنه ليس غباءً

ثم نغير الأقدام!

أغني: «لهذه الليلة، لهذه الليلة دعني أحلم حلم سعادتي، ترا لا لا،،، وأشتري من الحزن لحظة، مهلة ترا لا لا..».

السيد ديكسون يقرأ بحماس من ورقة مسرحية. فتاتان يُخطأ بينهما في قضية قتل. إنها تقرأ من ريري، وكريكري، تحرك الراء رررريري، كررررركررري...

كنت ثملة قليلا عندما استقلينا القطار لأمستردام.

*

الغرفة في الفندق في أمستردام تلك الليلة.

كانت نظيفة جدا، مع ورق جدران مطبوع عليه ورود.

«الآن، يجب ألا تقلقي بشأن المال» يقول إنو.

«المال شيء سخيف ليقلق المرء حوله، دعيني أقوم بذلك، بإمكاني دائما الحصول على بعض المال. عندما نعود لباريس ستكون الأمور على ما يرام»

Twitter: @ketab_n

(عندما -نعود- لباريس...).

هناك زجاجة أخرى من الشمبانيا على الطاولة عند السرير.

«الحب» يقول إنو «لا يجب أن تتحدثي عن الحب، لا تتحدثي...».

يجب ألا تتحدثي، ألا تفكري، يجب أن تتوقفي عن التفكير. بالطبع، إنه كذلك، يجب تتركي كل شيء آخر، توقفي التفكير...

في الصباح التالي تناولنا إفطارا كبيرا جدا من النقانق، اللحم البارد، الجبن والحليب. سرنا في أمستردام. شاهدنا اللوحات في متحف ريجكس. «هل تودين رؤية شبيهتك؟» يقول إنو. وأنا متناغمة مع كل هذا، كل شيء ناعم، ناعم ورقيق. ممارسة الحب، الألوان على اللوحات، الغروب، رقيق، ألوان شمالية عندما تغرب الشمس. وردي، موف، أخضر وأزرق. والرياح منعشة وباردة الأضواء كأنها يرقات ذهبية. والنوارس تطير على الماء. كل شيء متناغم تماما. كل شيء رقيق وحزين، كما لو أن الحياة شيء. للحظة... وعندما نعود لباريس... عندما -نعود- لباريس...

«أود حقا أن أعود لباريس» سيقول إنو.

«لا يوجد سبب، إنه غير منطقي. لكن في جميع الأحوال أود الذهاب إلى هناك. بيوت معينة، شوارع معينة... بلا معنى، بلا سبب، هذه النستولوجيا فقط... و من بعد إذنك بعض من أغاني قد عادت بالمال...».

فجأة أنا في حمى من التوتر للعودة إلى هناك. لنكن في طريقنا. لنكن في طريقنا... لم لا نصل إلى بروكسل؟ حسنا، سنصل لبروكسل. ربما نفعل شيئا في بروكسل.

لكن الخمسة عشر باوندا قد تلاشت. جمعنا كل بنس استطعنا أن نجمعه. بعنا معظم ملابسنا.

Twitter: @ketab_n

حياتي الجميلة أمامي، تنفتح كمروحة في يدي...

*

ما الذي حدث بعد ذلك؟ ... حسنا ماذا حدث؟

الغرفة في فندق بروكسل -حارة جدا. جرس السينما جوارنا يدق. غرفة طويلة ضيقة مع نافذة طويلة ضيقة وجرس السينما المجاورة حاد وبلا معنى.

الأشياء لم تنته، يقول إنو: «لدينا فقط ثلاثون فرنكا بقت» سيدتي، هل هذا كل شيء؟

«نعم، فقط ثلاثون فرنكا. يجب أن نفعل شيئا حيال هذا غدا».

جرس السينما استمر في الرنين وفي كل مرة يرن أشعر به يبدأ.

عندما خرج في الصباح التالي قال «أعتقد بأنني سأتمكن من جمع بعض المال. انتظريني هنا».

«هل ستتأخر؟».

«لا، ... في جميع الأحوال لا تخرجي».

أجلس على السرير، أنتظر، أسير في الغرفة جيئة وذهابا، أنتظر، لا أستطيع تحمل، هذا الانتظار...

وكما لو أن شخصا قالها بصوت عال في رأسي، السيد لاوسون، نعم السيد لاوسون..

لم أتذكر كيف أن عينيه زجاجيتان. السيد لاوسون.

«نعم؟» يقول «طلبت رؤيتي» رافعا حاجبيه قليلا، يقول: «ن-نعم؟».

لم يتعرف علي، لابد أنني أبدو مريعة.

أقول: «أعتقد بأنك لا تتذكرني. كنت أقيم في هذه الغرف في المعبد الذي أتيت لتستعرضه.

Twitter: @ketab_n

وأخذتني للعشاء. تناولنا المحار وتحدثنا عن آيرلندا. ألا تتذكر؟ ثم كنا على القارب ذاهبين إلى هولندا وأعطيتني عنوانك في بروكسل. أخبرتني أنه إذا ما أتيت إلى هنا، هل سأبحث عنك؟ ألا تتذكر؟».

«بالطبع، أيتها الآنسة الصغيرة...».

«لست صغيرة» أقول «لست صغيرة» لأنني لا أتحمل أن رجلا كهذا يدعوني صغيرة.

أتكلم باستمرار، أقول، كما لو أنها نكتة: نحن لسنا تماما مقطوعين، سنكون بخير ما إن نصل إلى باريس. في الحقيقة. سنكون بخير خلال يوم أو اثنين. ماعدا، بغباء، فقط لهذه اللحظة، نحن معزولون قليلا.

السيد لاوسون يتحدث لي وفي النهاية يعطيني مئة فرانك. «أرجو أن يكفيك هذا، والآن، اعذريني، فأنا مستعجل».

أقف هناك مع الملحوظة في يدي، عندما اقترب مني وقبلني. أكرهه كما لم أكره أحدا في حياتي. إلا أنني أشعر بأن فمي يلين تحت فمه. ويديّ ترتخيان، «إلى اللقاء» يقول بلكنة أمريكية. ويكشر.

«هل حالفك الحظ؟».

«ليس كثيرا» يقول إنو.

أقول: «لقد استطعت أن أستلف مئة فرنك».

«ممن استلفتها؟»

«امرأة كنت أعرفها منذ زمن في لندن. عرفت أنها تقيم هنا. وجدت عنوانها في الدليل. تعرف الآنسة كافيل، نعم صديقة للآنسة كافيل. تعيش في آفنيو لويس، وذهبت للقائها».

«ليست صديقة تماما» أقول.

Twitter: @ketab_n

«في الحقيقة كانت صفيقة جدا، العاهرة العجوز. أخبرتني بأنها لا تود رؤيتي إن عدت إلى هنا مرة أخرى. الآنسة ندم، لكن لا تفوتي ما يمكن أن تحصلي عليه اليوم...».

«أفنيو لويس؟ كم رقم المنزل في أفنيو لويس؟».

«اخرس، لا تتحدث عن الأمر».

أستلقي على السرير وابدأ في البكاء.

«لا تبكي، إن بكيت فإنني أجن».

«اخرس إذن، ولا تتحدث عن المئة فرنك اللعينة».

(بمئة فرنك يمتلكون حقا لا نهائيا في السخرية منك، كم أنت رخيص).

« ما الذي يبكيك؟» يقول.

«إنه ثوبي، أشعر بالسوء. أشعر بالقذارة. أود أن آخذ حماما. أريد ثوبا آخر. أريد ملابساً داخلية نظيفة. أشعر بالسوء، أشعر بالقذارة».

«سأشتري لك فستانا آخر ما إن نعود لباريس، أعرف مكاناً بإمكاننا الشراء منه بالدين... سترين ما إن نعود لباريس ستكون الأمور على ما يرام».

يخرج لإحضار شيء نأكله. أستلقي هناك وأنا سعيدة. أنسى كل شيء. سعيدة وهادئة. لا أكترث إن كنت سأعيش أو أموت. أفكر في الطريقة التي نظر لي بها السيد لاوسون عندما دخلت. وجهه الطويل النحيف، وجهه المندهش. ضحكت ولم أستطع التوقف عن الضحك.

*

المرحاض في المحطة -تلك كانت المرة التالية التي بكيت فيها. لقد كنت للتو مريضة. كنت خائفة جدا من أن أكون أحمل طفلا.

ورغم أنني كنت مريضة جدا. لم أشعر بتحسن. أجلس مستندة على

Twitter: @ketab_n

الجدار. باردة كالثلج، ومغطاة بالعرق. أحدهم يحاول فتح الباب. وأنا أجمع شتات نفسي. أتوقف عن البكاء وأتزيّن.

كنا ذاهبين لكالايس، تصادق اينو ونادل يعيش هناك ووعدنا بأن يقرضنا بعض المال.

إنه ممتاز في عمل صلصات السلطات. هذا النادل. أكلنا معه وزوجته في اليوم التالي. ها هو مع ظهره السمين، ورقبته الغليظة. يخلط الصلصة. يستخدم السكر بالطريقة الألمانية. تراقبه زوجته بحقد وخوف. كانت نحيفة وقبيحة وليست يافعة.

يخلط النادل الصلصة ببطء على البوفيه. أستطيع رؤية نفسي في المرآة. أبدو نحيفة، نحيفة جدا. متسخة ومرهقة.

مع ذلك التعبير في عينيك عندما تكون متعبا جدا، وكل شيء يبدو في عينيك كما لو أنه حلم. وكل شيء أقل مما يمكن أن يقوله الناس في تلك الحالة.

لم أستطع تحمل ذلك، لم أتصور ذلك. ملابس رثة، حذاء ممزق، هالات حول عينيك، شعرك يصبح مستقيما وضامرا. الطريقة التي ينظر بها الناس لك... لم أتصور الأمر هكذا.

نسير في شوارع كالايس مع زوجة النادل. ذهبنا لرؤية التمثال الذي صنعه رودين. طوال الوقت كانت تتذمر بصوتها النحيف، أنه لا يمنحها المال أبدا لشراء الملابس، وإنه في النهاية مالها هي، لقد كان معدما عندما تزوجته.

لم تبد فضولية أبدا فيما يخصنا، أو لتعرف أين التقانا هو. استمرت في الحديث فقط عن قسوته وعن الملابس التي أرادتها.

كان يوما رماديا، كان كالسير في لندن، كالسير في الحلم. إلهي، كم بدوت مخيفة وأنا أسير في هذا الحلم. إلهي، كم بدوت مخيفة في تلك المرآة!

Twitter: @ketab_n

إن كنت سأبدو كذلك، فليس هناك أمل أن أعود لباريس وأنا أبدو هكذا...

عندما عدنا شربنا شراب الأبسنث، النادل أعده لنا بشكل متقن. أخذ وقتا طويلا، لم يعجبني الطعم. لكنني كنت أشعر بالبرد وقد دفأني. جلسنا هناك نحتسي الشراب، وإنو والنادل كانا في الزاوية يتحدثان. الزوجه لم تتحدث وكذلك أنا بعد بعض الوقت. إلا أن الشراب جعلني أشعر بالمشاكسة، تمنيت لو أنني أصرخ «اخرسوا» وأن أكره النادل لأنه لم يكن يفكر كثيرا في شكلي. (إنها ليست بهذا الجمال، كنت أظن بأنها أجمل من المرة الأولى التي رأيتها فيها).

توقفت عن الاستماع لهم، لكن الأبسنث كان يدور في رأسي كنت أعتقد بأنني أصرخ عليهم ليصمتوا. حتى أنني سمعت صوتي يقول: اصمتوا أكرهكم. لكن حقا لم أقل شيئا وعندما نظر لي إنو ابتسمت.

غوستاف -النادل- أعطانا المال الذي وعدنا به وغادرنا كالايس.

زوجة غوستاف لم تعجب إنو: «هل تدعو نفسها امرأة».

«لكنها كانت أموالها» قلت أنا.

«حسنا» قال إنو «إنه يستخدمه بشكل جيد، أليس كذلك؟ إنه يستخدمه بشكل أفضل مما لو كانت هي من يستخدمه».

كان قطارا بطيئا، كنا متكدسين في المقصورة. مستلقين على رف الأمتعة، نحاول النوم، مستندين على عصا إنو.

وعجلات القطار تقول: «باريس، باريس، باريس، باريس...».

*

دخلت فتاة إلى المقهى. وجلست في الطاولة المجاورة. ترتدي بدلة رمادية، تنورة قصيرة وضيقة، والقميص نظيف جدا. قبعة سوداء تتباهى بها تشبه قبعات الجنود الإسكتلنديين. شنطتها على الطاولة بجانبها. جلد أصلي

Twitter: @ketab_n

يتلاءم مع حذائها (شنطة يد.. كم من الأشياء يجب أن أحصل عليها! هل بدلة مثل هذه سيكون من الجيد الحصول عليها؟ لا، أعتقد أنه من الأفضل أن أحصل على) ... ومشت باستقامة شديدة وبسرعة على كعبها العالي. تاب، تاب، تاب، كعبها...

«سآخذك لمكان تنتظرين» قال إنو «يجب أن أرى شخصا أو اثنين».

أحتسي القهوة في الصباح الباكر كل شيء كالحلم، كنت متعبة جدا.

خرجنا من الميترو في بولفارد مومبرناس.

«هنا» قال إنو وأخذني من ذراعي.

الروتوند كان ممتلئا بالرجال يقرؤون الجريدة كعصي طويلة. رجال رثون، لا يحتقرون، لا يلاحظون، لوحات على الجدران. أذرع الساعة تتحرك بسرعة. ساعة، اثنتان، ثلاث ساعات...

لكم من الوقت سيسمحون لي بالجلوس هنا؟ لم تتبق قطرة واحدة من القهوة. القطرة الأخيرة كانت باردة جدا، ومرة جدا -باردة ومرة. لدي خمس فرنكات، لكني لم أتجرأ أن أطلب قدحا آخر من القهوة. لا يجب أن أصرف النقود على هذا.

الألوان في اللوحات تسيل على بعضها. رأسي للخلف على العمود. لو نمت لابد وأنهم سيطردونني. ربما لن يفعلوا، لكن من الأفضل ألا أخاطر.

ثلاث ساعات ونصف...

ما إن نظرت إليه حتى عرفت من وجهه أن لديه المال. رجل طويل معه، رجل ذو وجه طيب، ويدين طويلتين نحيفتين.

ذهبنا للمكان المجاور اسمه لا نابوليتاين وتناولنا الرافيولي. يدفئني، آكل ببطء، أدعها تبقى لمدة طويلة.

Twitter: @ketab_n

لم أكن أبدا بهذه السعادة في حياتي. أنا حية و أتناول الرافيولي وأحتسي النبيذ. لقد هربت، باب فتح أمامي وأخرجني تحت الشمس. ما الذي أريده أكثر؟ كل شيء من الممكن أن يحدث.

«لقد حصلت على غرفة» قال إنو. «ريو لامارتين».

«تعرضت لمطاردة» يقول، «بوليت لم يكن هناك، تركت ملاحظة. والتقيت بآلفريد خارج شقته».

آلفرد يبتسم، ينحني، يلف يديه بقلق ويغادر.

«إنه لطيف» أقول.

«نعم إنه صبي لطيف، إنه تركي».

«أوه، ظننته فرنسيا».

«لا هو تركي».

كم لديه من المال؟ لا، لا تسألي، لا أود أن أعرف. أخبرني لاحقا، أخبرني غدا، دعني الآن سعيدة...

رجل عجوز أتى إلينا، يبيع الورود الحمراء. إنو يشتري بعضها. ربما لديه ما يكفي من المال.

الولد يراوغ قليلا. يلتفت ثم يعود ويضع وردتين أخريين على الطاولة عند صحني. «لو سمحت، سيدي؟» يقول لإنو ينحني كما لو كان أميرا. باريس... أنا في باريس...

*

الغرفة التي أقمنا بها في الفندق في ريو لامارتين لا بأس بها. كانت في الطابق الرابع. الطابق الأخير. هناك سرير كبير. مغطى بزغب أحمر. وفي الخارج شرفة صغيرة. بإمكانك أن تقف وأن تريح ذراعيك على الحديد

Twitter: @ketab_n

البارد وأن تنظر في الأسفل للطريق.

أخذناها ودفعنا إيجار شهر مقدما -واستيقظنا ذلك المساء ونحن نحك أجسادنا، والجدار مليء بالحشرات تزحف ببطء.

لم أمانع وجود الحشرات، لم أمانع أي شيء...

«مستحيل، سيدي، ماذا تقول؟ هذا مستحيل، لكن سنرى، إلخ إلخ الخ...».

لم ترد أن تعيد المال. بعد قليل كانت قد طلبت أن يعقم المكان، وأعطتنا غرفة أخرى بينما يتم عمل ذلك. كنت سعيدة أننا لم نضطر للمغادرة.

أستلقي على المقعد الطويل في منتصف الغرفة. التي لا تزال رائحتها كالكبريت. فتحت الباب ووضعت قطعة ورق حتى يبقى مفتوحا. أغلقت الستائر حتى لا تدخل الشمس. الغرفة مظلمة ويبدو السقف كما لو أنه يضغط على رأسي. كنت أقرأ الإعلانات في فيجارو، أشير لهؤلاء الذين يريدون دروسا في الإنجليزية.

إنو يجلس على الطاولة، يدخن غليونه، السيد آلفريد على السرير. أشاهد قطرات العرق تسيل من على وجهه إلى ذقنه. لم أر شخصا يعرق بهذا الشكل. إنه غريب. كل فينة وأخرى ينفخ بين شفاهه المطبقة. يخرج منديله ويمسح وجهه. ثم في لحظة أخرى يكون رطبا ولامعا مرة أخرى.

يعجبني آلفرد. مرة قال لي «الجو دافيء جدا اليوم، سأجعلك تشعرين بالبرودة والفرح» أمسك رسغي ونفخ عليه. برفق شديد، بشكل عادي جدا. حاولت أن أبعده. لم أفعل لأنه أقرضنا خمسمئة فرنك، ثم بدأت أشعر بالبرودة والسلام.

ثم قرأ آلفرد: «أجب بصمت بارد الصمت الأبدي لصمت الآلهة» يقول، وهو ينضح عرقا. «هل تمانعين لو أغلقت الباب سيدتي؟ هناك تيار

Twitter: @ketab_n

هوائي سيء هكذا».

«لست في تيار، أنا بخير» أقول.

يبقى إلفرد يعبث بشاربه. عيناه تبدوان خبيثتين، بنفس الطريقة التي تبدو فيها عينا امرأة خبيثة فجأة.

يقول بخبث «أعتقد أنها فكرة جيدة سيدتي.. إعطاء الدروس».

ثم يتحدث لإنو: «ليست فكرة سيئة على الإطلاق ليست سيئة، ابحث عن اثنين أو ثلاثة برجوازيين مستعدين للدفع بشكل جيد، ثم بعد ذلك، حسنا، تكلم، اطلب ما تود، لكنك لن تستطيع بلا هؤلاء البرجوازيين».

لم يجب إنو.

«لو كنت متزوجا» يقول آلفرد «لن أسمح لزوجتي بالعمل لدى رجل آخر. لا، لا سأعتبرها إهانة عظيمة أن أسمح لزوجتي أن تعمل لدى رجل آخر ماعداي. لن أفعل ذلك. لا شيء سيجعلني أفعل ذلك» «أقرفتني» يصرخ إنو «أقرفتني، قل لي، ما الذي تحاول قوله بعد؟».

«حسنا، حسنا، أنا ذاهب» يقول ألفريد وهو ينهض. «أرى أنك في مزاج سيء. سأذهب، لست بحاجة للصراخ علي».

«أوه لا تذهب» أقول أنا.

«اخرسي» يقول إنو.

«سيدتي» يقول آلفرد من عند الباب منحنيا.

أضحك عندما انحنى. أستمر في القول: «أليس هذا مضحكا، أليس هذا مضحكا؟» أتذكر آلفرد وهو ينفخ على رسغي ليبرده، وأنا لا أستطيع التوقف عن الضحك. أتعب لدرجة أنني أضع رأسي بين يدي.

إنو يقول: «سأذهب لأحضر شيئا نأكله».

Twitter: @ketab_n

«من الآن؟ الوقت مبكر جدا».

يخرج دون أن يجيب، يصفق الباب ويخرج.

*

«أنت لا تعرفين كيف تمارسين الحب» يقول، كان هذا بعد شهر من عودتنا لباريس. «أنت سلبية جدا، كسولة جدا، تصيبينني بالملل. لقد اكتفيت من هذا، وداعا».

خرج وتركني وحدي، تلك الليلة واليوم التالي. مع عشرين فرنكا على الطاولة. وأنا متأكدة الآن بأنني سأنجب طفلا. رغم أنني لم أقل كلمة واحدة حول ذلك.

خرجت لأحضر لنفسي شيئا آكله. المالك والمالكة كانوا يعلمون. الجميع يعلم... أستيقظ في منتصف الليل، أستمع، أنتظر...

في اليوم الثالث كنت قد وعيت لأنه لن يعود، يوم حزين. تلك كانت المرة الأولى التي أمرّ وأنا أنظر للمالكة في عينيها، بدلا من أن أمرّ من أمامها بعينين مطأطئتين. تسأل عن السيد. السيد سيكون غائبا لبعض الوقت.

سماء زرقاء على الشوارع، البيوت، البارات، المقاهي، محلات الخضار، فوبورغ مونمارتر..

أشتري حليبا، قطعة خبز، أربع برتقالات، وعدت للفندق.

أعصر البرتقالات، وأشم ماءها، الكثير من الماء، لابد وأنها طازجة... أفكر: «ما الذي سيحدث؟ بعد كل هذا، لا أكترث كثيرا لما يمكن أن يحدث. وبينما أفكر في هذا يدخل إنو حاملا تحت ذراعه زجاجة من النبيذ.

«مرحبا» يقول «حصلت على بعض المال» يقول «إلهي، أليس الجو حارا؟ قشري لي برتقالة».

Twitter: @ketab_n

«أنا عطش جدا» يقول «قشري لي برتقالة».

هذا هو الوقت لأقول له «قشرها بنفسك» هذا هو الوقت لأقول له «اذهب إلى الجحيم» هذا هو الوقت لأقول «لن تعاملني بهذه الطريقة» لكن بقوة كبيرة جدا، الغرفة -الشارع، الشيء في داخلي. قوي جدا.. أقشر البرتقالة أضعها في صحن وأقدمها له.

يقول: «لدي بعض المال».

أخرج ورقة فئة ألف، وورقة أخرى. لم أسأله من أين حصل عليها. لم أسأل؟ المال يدور، إنه يدور-لكن كيف! لم، لا تصدقه أحيانا.

يسكب لي كأسا من النبيذ «إنه طازج، لقد وضعته بعيدا عن الشمس».

«لكن يديك باردتان» يقول «يا فتاتي...».

يغلق الستائر حتى لا يدخل ضوء الشمس. عندما قبل جفني ليوقظني كان المكان مظلما.

لكن لم يكن هذا الذي يهم. إنه لا يعلم تماما متى من الممكن أن يكون قاسيا. اليوم الذي كنت أعرف تماما أنني وقعت في حبه.

كان قد خرج ليحضر شيئا نأكله. كنت خلف الستارة، ورأيته في الشارع في الأسفل. يقف تحت مصباح الشارع. ينظر لنافذتنا، يبحث عني. كان يبدو نحيفا جدا وصغيرا، رأيت التعبير على وجهه فارغا، كان يبدو قلقا...

زجاجة النبيذ كانت تحت ذراع واحدة. ومعطفه كان مرفوعا، لأن قطعة الخبز تحته. الراعية لم تحب أن نأكل في غرفتنا، لكن بين وقت وآخر لم تكن تمانع. لكن عندما يأكل الناس في غرفهم كل يوم فهذا يعني أنهم لا يمتلكون أي مال.

عندما نظرت له هكذا عرفت بأنني أحبه، وأن هذا أمر دائم. كما لو أن

Twitter: @ketab_n

قلبي انقلب. وعرفت أنني سأحبه دائما. هو شعور غريب، أن تعرف تماما في قرارة نفسك أن شيئا سيدوم للأبد. لابد وأنه مثل شعور الموت. اللامبالاة، كل الفرح في الخديعة. لأنني أردت الهروب من لندن، ربطت نفسي به. وأنا أسحبه للأسفل. كل الفرح قد ذهب، وهاهو نحيف وقلق...

لم ألوح له، وقفت عندالستائر وراقبته، وبعد قليل قطع الشارع ودخل للفندق.

«لا أستطيع النوم» يقول «دعيني أستلقي ورأسي على نهدك الفضي».

*

الستائر رقيقة، وحتى عندما نسدلها فإن الضوء يتسلل برفق. هناك زهور على النافذة وبإمكاني رؤية ظلالها على الستائر. الطفل في الطابق السفلي يصرخ.

هناك ريح، وظلال الزهور على طرف النافذة، تلوح، كبجعات يدخلن رؤوسهن في الماء. مثل الكثير الذي يخرج رأسه، بصعوبة وتوحش. لدقيقة قبل أن يغرق، مهزوما، في الظلام. كجماجم على رقاب طويلة ونحيفة جدا. تصطك بقوة كلما هبت الريح. حتى نهاية الستارة، حيث العدم. تتشوش كلما اصطكت.

رائحة العفن، الحشرات، الوحدة، هذه الغرفة، التي هي جزء من الشارع في الخارج -هذا كل ما أردته من الحياة.

الأشياء تسير بشكل جيد. استقرينا، إنو باع مقالين. كان يرى الولد القديم في لابين آجيل. وهاهو يغني هناك كل ليلة. وهناك وظيفة حقيقية ينظر في أمرها. حملة إعلامية: للترويج للشاي في فرنسا شاي تيمينز -هو متحمس كثيرا لهذا. وقد قام بتصميم إعلان. يقول بأنه سيعجب الفرنسيين: «الشاي

Twitter: @ketab_n

هو أكثر مشروب اقتصادي في العالم، إنه يكلف أقل من سو واحد للكأس».

أنا أعطي دروسا إنجليزية، عشر فرنكات للساعة. لدي ثلاثة طلاب. فتاة تعمل في محل عطور. رجل يعمل في الإعلان في فيجارو. وروسي صغير قابله إنو في لابين آغيل، يتحدث الإنجليزية بالطلاقة التي أتحدث بها.

اشتريت كتاب برليتز وطبقته حرفيا، هزلية هذه الدروس، ماعدا الروسي. يصر على الاستفادة من العشرة فرنكات التي يدفعها، ويفعل. «هل لك أن تخبرني، من فضلك، إذا ما كنت ألفظ «th» بشكل صحيح؟

هذا، هذه، هؤلاء، -كلها صحيحة.

يحضر معه مجموعة من أعمال أوسكار وايلد ويقول بأنه يود أن نقرأهم. «هل ستوقفينني؟ إذا ما أخطأت في لفظ ما؟.. أعتقد بأن أوسكار وايلد أعظم الكتاب الإنجليز، هل توافقين؟».

«في الحقيقة ...».

«أها، أنت لا توافقين».

«لكنه يعجبني، أعتقد بأنه عطوف جدا».

يتحدث قليلا عن النفاق الإنجليزي، تلقين المتحولين ، الشوارع حارة، نأكل الخوخ. الأيام الطويلة، الجميلة، الزرقاء التي تستمر للأبد، والتي لا تزال...

في زاوية الشارع، محل الكيميائي مع إعلان إكسير القس الذي يعالج هذا، أو يعالج ذاك، إنه يعالج غثيان النساء الحوامل، هل سيعالج غثياني؟ أتساءل.

وجهي جميل، معدتي هائلة. في المرة الأخيرة التي أكلنا فيها في المطعم الجزائري كان علي أن أركض للخارج لأتقيأ... الناس لطيفون جدا معي.

Twitter: @ketab_n

يقفون ويتركون لي أماكنهم في الباصات. بلا رونق، امرأة مقدسة... ليس تماما هكذا. لكن يبدو لي أنهم كانوا لطفاء. في كل الأحوال، لست غاضبة الآن لخروجي. وإمضاء ساعات طويلة لوحدي.

هناك محل كتب مجاور، الذي يبيع كتبا إنجليزية مستخدمة. المساعدة هندوسية. أريد كتابا طويلا هادئا عن الناس التي لها مدخول كبير. كتاب كسهل أخضر وشعور الخراف وهي ترعى فيه. لكنه أصر على بيعي كتبا متوهجة عن زحمة الرقيق الأبيض. «هذا كتاب جيد، جميل جدا، حقيقي جدا».

لكن في النهاية حصلت على كتب أحببتها. أقرأ معظم الوقت وأنا سعيدة.

*

داخل وخارج الغرفة -لايس، بولييت، جين، وآلفرد التركي. أراقبهم، وأنا لا أعرفهم جيدا، لكن تعجبني لايس.

إنها مطرزة، أو كانت مطرزة، الآن هي تغني أغاني إنجليزية في كباريه رخيص في ريو كوجاس -زهور بيكاردي وحب، هاهو قلبي. هي لا تستطيع تحدث الإنجليزية إطلاقا. إنها في الثانية والعشرين من عمرها. أصغر مني بثلاث سنوات.

كل شيء حول لايس يفاجئني. نعومتها، رقه مشاعرها الكبيرة، مختلف تماما عما أعرفه عن الفتيات الفرنسيات. إيقاعات من مانون، شرائط وردية مع ورود من حرير، نظيفة...

«هل حقيقي أن النساء الإنجليزيات لا يستخدمن الماء في الحمام؟ عني، أنا أستخدمها مرة أو اثنتين في اليوم... وجميع ملابسي الداخلية مصنوعة يدويا. نعم كل خيط».

Twitter: @ketab_n

لديها شعر أسود مجعد. وجه جميل جدا، ولسوء الحظ كعبان ممتلئان... أحب إيف ماريا لغاوند «الموسيقى كالصلاة، ألا تعتقدين؟ ...».

هي تأتي غالبا وتأكل معنا.

في إحدى الليالي أنا في الغرفة مع لايس، كنا قد تناولنا للتو وجبة جيدة- سباغيتي مطبوخة في اللهب الأزرق وزجاجة من الشراب. أشعر بشعور جيد. تقول: «أتمنى لو أن هناك حربا أخرى».

«أوه لايس، لا تقولي هذا».

«نعم، أود ذلك، ربما أكون محظوظة قليلا، وأقتل، لا أود أن أعيش أكثر من هذا».

ثم خرجت، ليس لديها أحد. لا تعتقد بأن هناك من هو مثلها. العقد في ريو كوجاس انتهى، لم تستطع الحصول على آخر. عليها أن تبحث عن وظيفة كحائكة مرة أخرى. «الإضاءة في غرف الأشغال ليست جيدة. أحيانا تؤلمك عيناك جدا بالكاد تستطيعين فتحهما».

يجب أن تعود للعيش مع والدتها، التي تمتلك محلا للحاجيات في كالمارت. إنها تخاف من والدتها، عندما كانت طفلة صغيرة كانت والدتها تضربها. «لكل شيء، للا شيء. لا تعلمين، ودائما تقول أشياء سيئة، تحب أن تجعلني أبكي. تكرهني، أمي، لا أحد لدي، قريبا سأضطر لوضع نظارات، قريبا سأصبح عجوزا».

«يا إلهي، لايس، لديك عدة سنوات بعد، افرحي» «لا، هذا يكفي» تقول « لقد اكتفيت أصلا».

«لايس لا تبكي».

«لا هذا يكفي».

Twitter: @ketab_n

وبدأت أنا أيضا في البكاء. لا، الحياة كئيبة جدا، إنها غير محتملة.

جالسة في اللهب الإزرق، عاقدة ذراعي وأبكي، لا، الحياة كئيبة جدا... دموعي تتساقط على شعرها الكثيف، الذي دائما تنبعث منه رائحة جميله.

إنو يأتي حاملا زجاجة أخرى من آستي سبومانتيه، يقول «يا إلهي كم هذا سعيد» ويضحك بصوت عال. أنا ولايس نظرنا لبعضنا البعض وبدأنا في الضحك أيضا. بعد قليل كنا قد وقعنا على الأرض ونحن لا نستطيع تمالك أنفسنا من الضحك. هذا كثير، لا أستطيع، هذا كثير...

«مسكينة لايس» يقول إنو، إنها فتاة طيبة، لكنها حساسة جدا.

بولييت حكاية أخرى، هي مرحة، بذيئة، صديقة جيدة لإنو، معجبة بها، أحاول تقليدها وأغار منها.

تقرأ لنا مقاطع من رسائل أرسلها لها عشيق في المقاطعة. «كم أنت جميلة، أنا بخير».

حسنا، ما أمره؟ وأستمع لهذا: «نهداك يملآن وعد عينيك».. «إنه متفرد، أليس كذلك؟ والألفا فرانك التي طلبتها أين هي؟ كلام تافه، لا تكترثي، سيغادر قبل أن أنتهي منه. انتظري قليلا، متوقع، إبن الزنا».

في أحد الأيام عادا، إنو وبولييت، تناولا العشاء في الخارج، وكنت مريضة جدا لأن أذهب معهما. لكن الغثيان ذهب وكنت جائعة. قامت بولييت بطبخ ستيك على اللهب الأزرق، وتناولته كله. «هل أعجبك؟» قالت «نعم، أعجبني» قلت. «ألم تلاحظي شيئا به؟» «لاحظت أنه كان قاسيا بعض الشيء.. لكنه أعجبني» «لقد كانت شريحة ستيك -حصان». قالت «أوه، حقا؟» كانا ينظران لي بعيون ضيقة، يتوقعان أن أفعل تلك الحركات الإنجليزية. لكن بعدما قلت «أوه، حقا؟» فإنهما اللذان كانا مفتوحين على الآخر ليضحكا صغرا مرة أخرى، بعد ذلك أعتقد أن بولييت

Twitter: @ketab_n

عرفت بأنني لست واحدة من المرفهين، وبأنني لم أكن أبدا. وبأنني لم أمتلك وقتا كبيرا كالبقية. بعدها أحبتني أكثر.

بالطريقة التقليدية للرومانسية، بولييت، شعر أشقر طويل، ناعم، عينان بنيتان، وعاء من البنفسج في غرفتها. عندما تنظر لنفسها عارية في المرآة، فهي فخورة كشيطان. بالتقاليد الرومانسية. وكريمة جدا. تحضر لي هدايا من الجوارب الحريرية. وتعود بعدة جوارب لإنو. «لقد اختلستهم» تقول «لن يكتشف -لديه الكثير».

تخبرنا أن أحد عشاقها كونت كذا وكذا، يود الزواج منها. لكن عائلته مصدومة ومرتاعة. «ها نحن» تقول بولييت، «أنا لا أعزف البيانو، أنا..». لا تشعر بالمرارة بل بالندم، تسلم أمرها للقدر.

إلى جانب ذلك، فهي تعاني حقا من الحظ السيء -إنه القدر. مثلا في اليوم السابق، تم إقناع الأم لتتناول معها الغداء. وما الذي حدث وهما تغادران المطعم؟ أوقعت بولييت سروالها التحتي.

هل أصدق ذلك؟ حسنا، أصدق ذلك قليلا في جميع الأحوال، لأن هذا الشيء تماما حدث لي أنا.

أضحك بجنون، على السرير في الفندق في ريو لامارتين، وأفكر عندما قال ذلك الرجل لي: «هل تستطيعين مقاومته؟» «نعم أستطيع» قلتها بكل برود، أستطيع مقاومته، ببرود كالشمال، نعم أستطيع.

«لابد وأنك مجنونة» يقول «مجنونة». أين يحدث هذا؟ في كنغستون. الشيء التالي الذي قاله هو أنه سيراني في الباص. «غبية، فتاة غبية» يقول، يغلق أزراره، ويأخذني لموقف الباصات. نقف تحت مصباح في الشارع، في صمت مطبق. ننتظر الباص، وماذا يحدث؟ يسقط سروالي الداخلي، أنظر له في الأسفل. أتحرك برشاقة عنه، أرفعه، ألفه وأضعه في حقيبتي. ما الذي

Twitter: @ketab_n

يمكنني فعله؟ يبحلق في الفراغ، مشدوها بشكل لا يقاس. يأتي الباص يرفع قبعته بأدب ويمضي.

في الصباح التالي اكتشفت بأنني أنا من خسرت قاعدتي، قررت أنني أشعر بسوء تجاه كل هذا. ذهبت لأقرب هاتف واتصلت به، «هل أنت مغتاظ مني بسبب ليلة البارحة؟» يجيب «نعم، أنا مغتاظ، مغتاظ جدا.. سأرسل لك علبة من راحة الحلقوم» وأغلق السماعة.

حسنا، الآن ما هذا، ما هي راحة الحلقوم هذه؟ هل هو تعليق، سخرية، تعويض، هل هي اعتذار، أم ماذا؟ سألقيها من النافذة أيا كان ما تعنيه.

*

الآن الثلج يتساقط، هناك انعكاس للثلج في الغرفة. الضوء يجعل كل شيء يبدو غريبا. التل على بطني مخبأ تحت الشراشف. أشعر بالهدوء، وأنا أشاهد انعكاسي في المرآة المقابلة. شعري متدل على كتفي. إنه متموج مرة أخرى، وزوايا فمي تتجه للأعلى. أحب نفسي اليوم، لن أشعر بالغثيان بعد الآن. أنا بخير وسعيدة جدا. لا أفكر حقا كيف يكون الشعور بعد أن أنجب هذا الطفل. كما لو أن بابا يقفل في أسي. فظيع، رهيب! ويغلق الباب في رأسي.

بالكاد أفكر بالمال أيضا، أو أنه عندما يحدث ذلك ربما أكون وحيدة. أن عمل الشاي هذا ربما انقطع، وأنه لن تجدر المخاطرة بفقدانه. لذا ربما أكون وحيدة في باريس.

لكن كل شيء قد أعد. ما إن يبدأ الأمر حتى آخذ سيارة أجرة إلى القابلة. غرفتي محجوزة. -كل شيء معد لا شيء لأقلق حوله، الجميع يقول ذلك.

نحن على علاقة جيدة مع المشرفة، ستراعيني طالما إنو ليس هنا. سأكون بخير.

Twitter: @ketab_n

الروسي أتى لأجل درسه، طلبت من إنو أن يرسل له ملحوظة تأجيل، لابد وأنه نسي إرسالها.

كان يبدو مستغربا لرؤيتي في السرير. الروسي -مستغرب. ثم ساخر. هل يظن أن هذا الأمر مقصود، أن أكون في السرير؟ هل يظن بأنني أردت ممارسة الحب معه؟ لابد أنه لا يستطيع التفكير هكذا، لكنني أظن أنه فعل.

أطراف فمه نزلت لأسفل وهو يقول «امرأة» كراهية أم خوفا؟ النساء، إنه لا يثق بهن. إنهن قادرات على كل شيء.

أشعر بالسكينة. مستمتعة كإله، مع هذا الانتفاخ الهائل في بطني، مغطى بالشراشف... لا فائدة من الجدل، بما أنه هنا. من الأفضل أن أبدأ معه.

«أخشى بأن هذا سيكون درسنا الأخير» أقول.

الضوء يجعل من كل شيء يبدو غريبا. يقبل يدي، وأنا أنظر ليدي وهو يقبلها. -بيضاء مع حمرة، أظافر ملمعة.

نقرأ «مروحة السيدة ويندرمر» «الضحكة، الضحكة المريعة للعالم، شيء أكثر كآبة من كل الدمعات في العالم...» «هل ستوقفني، من فضلك، إذا ما أخطأت في لفظ كلمة؟».

الحوار الإنجليزي... يخبرني عن الأميرة الروسية التي حبست في سجن بيتر وبول لتأكلها الفئران، لأنها كانت ثائرة. «صرخت لعشرة أيام، ومن بعدها صمتت، ثم تركوا يوما واحدا يمر، ودخلوا الزنزانة، حيث لم يتبق منها شيء سوى شعرها. كان لها شعر أسود طويل جميل».

حديثه كله تقريبا كان عن الألم والعذاب.

ينضم لعائلته في لندن، ثم سيذهب لأكسفورد. كانوا محظوظين جدا أنهم هربوا مع مبلغ جيد من المال. هذا، هذه، هؤلاء، كلها صحيحة.

Twitter: @ketab_n

«هل تعتقدين أن الإنجليز سيحبونني؟».

«نعم، أنا متأكدة من أنهم سيفعلون» يكفي أن أنظر إليك لأعرف بأنهم سيحبونك في إنجلترا».

«وإنجليزيتي؟».

«أنت تتحدث الإنجليزية بطلاقة».

كان سعيدا بهذا. يبتسم «أحاول أن أستمر في الممارسة» يعطيني العشرة فرنكات، يقبل يدي مرة أخرى، ينحني من وسطه وأسفل، وداعا سيدي، وداعا..

أضع العشرة فرنكات تحت الوسادة. أطفيء النور، طالما أستطيع النوم، سأنام. قارب يتهادى على الماء، نهر هادئ أخر، في الخارج الشوارع السرية، الرجل الذي يغني «لقد فقدت بخفة...».

*

... المنزل في بولفارد ماغنتا.

القابلة لديها يدان بيضاوان جدا ونظيفتان. عينان مائلتان وعندما تنظر لك، يتوقف العالم عن الاهتزاز. السحب سحب، الأشجار أشجار، الناس ناس، وهذا هو هذا. لا أخلط بينهم بعد الآن. لا، لن أفعل.

وهناك دائما الشاي بزهرة البرتقال.

لكن قلبي ثقيل كرصاص، ثقيل كصخرة.

لديه تذكرة ملفوفة على رسغه لأنه ميت. مستلق، بارد وساكن وتذكرة ملفوفة على رسغه لأنه ميت.

لا أفكر، فقط أنظر للأغصان، لتلك الشجرة، الأشكال التي تتركها، وهي تقف هكذا، مقابل سماء باردة، فوق كل هذا، لا أفكر...

Twitter: @ketab_n

عندما عدت للفندق، كنت مرهقة جدا، جلست على السرير ونظرت للأسفل للسجادة. ماعدا كوني متعبة، كنت بخير. لكنني ظللت أفكر في الثوب الذي كان يرتديه –جميل جدا. كنت قد أفسدت كل شيء. أفكر كل شيء قد أفسد.

«القدر قاس جدا» أقول «قاس جدا، شيطان، بالطبع، هذا يشمل كل شيء، التفسير الوحيدة الممكن».

«سأخرج» يقول إنو. «لا يمكنني البقاء هنا، لابد أن أخرج».

بقيت هناك. أنظر للأحمر القاتم. السجادة القذرة، وأرى جدارا قاتما في الشمس الساخنة. الجدار حار جدا، يحرق يديك عندما تلمسه. والزهور الصفراء والحمراء والوقت عندما يتوقف كل شيء.

*

الأضواء الآن حمراء، أحمر داكن، أحمر شاحب، أحمر قاس. الخيوط مربوطة بلطف من رجل بأنف طويل نحيف، وعينين زرقاوين حادتين.

تغير حظنا والأضواء حمراء،

ها نحن جميعا –لايس، آلفرد، جين.. رجل سمين يصرخ: «امرأة شقراء وسمراء، شقراء وسمراء».

فلين زجاجة الشمبانيا يطير، لم القلق؟ حظنا قد تغير.

الرجل السمين وأنا في زاوية لوحدنا.

يقول: «الحياة مريعة جدا، هل تعرفين قصة الرجل الذي أحب امرأة تزوجت رجلا آخر، وشعرت بالمرض؟ ولم يتجرأ أن يذهب للسؤال عنها، لأن الزوج شك فيها وكان يكرهه. لذا كان يحوم فقط حول المنزل ويراقب. وكل هذا الوقت كان يتساءل ما إذا كان جبانا إن ذهب وطلب رؤيتها،

Twitter: @ketab_n

أو كان جبانا إن لم يفعل. ثم في أحد الأيام ذهب وسأل عنها، وكانت قد ماتت. كما ترين، هو لم يرسل كلمة واحدة. لم يرسل كلمة واحدة كان يحبها وكانت تموت ولم يرسل لها كلمة واحدة. تلك حكاية قديمة. لكن ألا تجعلك تضحكين؟ ربما تكون حقيقية. تلك القصة، أليس كذلك؟».

«لم أنت حزينة يا سيدتي؟ لا يجب أن تكوني حزينة سيدتي. لا يجب أن تكوني حزينة، يجب أن تضحكي، يجب أن ترقصي...».

الرجل السمين مازال يتحدث.

«زميلي لديه زوجة جميلة جدا، ولسبب ما هي ليست سعيدة لذا ذهبت تسير في غابة بولون سارت مسافة طويلة وجلست تحت شجرة، ثم صوبت مسدسا على صدرها وسحبت الزناد. هل ماتت؟ بالطبع لا. ولا لا تفي بالغرض أيضا. إذا أردت أن تموت عليك أن تضعه في فمك. في سقف الحلق. هي ماتزال في المستشفى... وفي البداية هذا ترك أثرا لدى زميلي. كان في حالة سيئة. يفكر كم هي تعيسة لتفكر في قتل نفسها. لكن هذا كان قبل أسبوع. الآن يفكر أن الأمر مزعج وأنها جعلت من نفسها أضحوكة. وتوقف عن إحساسه بالشفقة تجاهها، أليست الحياة هزلية؟».

حسنا، ها أنت. ليست هذه الأمور التى تحدث والناس تنجو منها. لكن ما يجعل الحياة غريبة أن الناس تنساها. حتى في اللحظة التي تظن أن الأبدية تتلاشى وتنتهي وتموت. هذا الذي يجعل الحياة هزلية -الطريقة التي تنسى بها، وكل يوم هو يوم جديد، وهناك أمل جديد كل يوم، هوراااي...

الآن حظنا تغير وهذه الأضواء حمراء.

*

Twitter: @ketab_n

غرفة؟ غرفة جميلة؟ غرفة لطيفة؟ غرفة جميلة مع حمام؟ تأرجح عاليا، تأرجح منخفضا، تأرجح إلى.. تأرجح مـ... هذا يحدث ذلك يحدث... ثم أتت الأيام عندما كنت وحيدة.

*

«سأكتب» يقول «سأحاول أن أرسل لك بعض المال».

لكنني أعرف بأنه انتهى.

منذ البداية كنت أعرف بأن هذا سيحدث. بأننا سنقول وداعا.

انحنى من نافذة العربة. نظرت له وكنت أتساءل أكانت الدموع ما جعلت عينيه تلمعان هكذا. لم يكن واحدا من هؤلاء الذين يبكون بسهولة. إنو.

إنه لبعض الوقت فقط عندما سنعود لبعضنا وعندما تكون الأمور أفضل، وأنا أعرف في قرارة نفسي أنه انتهى...

هل أحببت إنو في النهاية؟ هل أحبني قط؟ لا أعلم. فقط بعد ذلك عندما بدأت أنتهي تدريجيا، ليس دفعة واحدة، بالطبع، هذا حدث في الأول، ثم ذاك حدث تاليا...

*

ذهبت لفندق بالقرب من بالاس دي لا مادلين. هناك الكثير من الذباب في هذه الغرفة. إنهم يزعجوني. أقتل واحدة. لم أكن أعلم أن للذباب دم مثلي ومثلك. حسنا، ها هي مستلقية هناك مع أجنحتها هامدة وأرجلها للأعلى، لن ترقصي ثانية..

أكتب لإنجلترا محاولة أن أقترض بعض المال. جعلوني أنتظر الإجابة لمدة طويلة، وبدأت آكل في بار قريب. حيث تقدم الراهبات الطعام للفتيات

Twitter: @ketab_n

المعدمات. إنها طيبة، الراهبة المسؤولة. أو أنها تحاول ألا تبدو طيبة. الغرفة التي نأكل فيها تطل على فناء حجري. بإمكانك الحصول على كأس من النبيذ بثمن بخس جدا.

كان هناك خادم إنجليزي في الفندق يقول للمشرف بأنه مهما كان الاسم الذي أدعو نفسي به الآن فهو يعرفني جيدا في لندن، وأنني قدمت لباريس مع صديق رائع يعرفه، سائس، وأنني عاملت صاحبه بسوء شديد، وأنني أقذر عاهرة مرت في حياته. كان من غير المجدي نكران كل هذا، غير مجد... هل كانت هستيريا، أم حالة كراهية من النظرة الأولى، أم أنه مخطئ بيني وبين الفتاة الأخرى حقا؟ ما كنت لأعرف.

لكنه جعل من حياتي جحيما. هذا الخادم.

في النهاية وصلني المال من إنجلترا «لا يمكننا مواصلة هذا» قالوا «لقد أصررت على ذلك مخالفة كل نصيحة» وهكذا... لا بأس، لن أطلب منكم مرة أخرى. مختلفون كثيرا، كما هم.

أغادر الفندق، أغادر الناصية، للمرة الأخيرة غسلت السكين والشوكة والملعقة وتركتهم في الخزانه. لا مزيد من الوجبات مع الفتيات المعدمات.

لكن، تلك مازالت الأيام التي أدخل لمقهى لشرب كوب من القهوة. عندما تشعرني بالسعادة نصف زجاجة من النبيذ. عندما يحدث هذا، عندما يحدث ذاك.

لكنها لا تستمر، الأيام الذهبية، ويمكن أن تكون حزينة، الشمس بعد الظهر، أليس كذلك؟ نعم، من الممكن أن تكون حزينة. شمس بعد الظهر. حزينة ومخيفة.

الآن، ستأتي نقود لهذه الليلة، نقود لشعري، نقود لأسناني، نقود لحذاء

Twitter: @ketab_n

لا يمزق قدمي «ليس من السهل السير بحذاء رخيص بكعب عال» نقود لملابس جميلة. نقود، نقود، نقود. وهذه الليلة قادمة.

هكذا هو الحال دائما عندما لا توجد نقود. فقط عندما تحتاجها لا تتواجد. الإفلاس. هو ما يحبطك.

هل حقاً أنا قبيحة؟ إلهي، لا، أراهن أنها امرأة من قالت هذا. لا، لم تكن امرأة إنه رجل من قالها. هل أنا قبيحة؟ لا، لا أنت شابة، وجميلة.

أحيانا لا بأس، أحيانا ينجح الأمر. معظم الأحيان ينجح. والأيام، والليالي..

كلي، اشربي، سيري، عودي للفندق. لفندق الوصول، فندق المغادرة. فندق المستقبل. فندق مارتينيك ويونيفرس... عائدة للفندق بلا اسم للشارع، بلا اسم. والزبائن بلا أسماء. بلا وجوه تصعد السلالم، دائما في الغرفة نفسها.

الغرفة تقول: «مثل الأيام الخوالي. نعم؟... لا؟... نعم».

*

بعد كل هذا ما الذي حدث؟

ما حدث هو التالي، ما إن حصلت على أدنى فرصة في مكان للاختباء. زحفت إليه واختبأت.

أحيانا يكون يوما جميلا، أليس كذلك؟

أحيانا السماء زرقاء. أحيانا الهواء خفيف، يسهل تنفسه، وهناك دائما غدا...

غدا سأذهب لغاليري لافاييت وسأختار فستانا، ثم أذهب لبرنتمبس أشتري قفازا، أشتري عطرا، أشتري أحمر شفاه، أشتري أشياء تكلف

Twitter: @ketab_n

6.25 فرنكا و19.50 فرنكا. أشتري أي شيء رخيص، فقط هو الشعور بالإنفاق، ذلك هو الهدف. سأنظر للأساور المرصعة بالحجارة المقلدة، أحمر، أخضر، وأزرق. عقود بلآلئ غير حقيقية. علب سجائر، مجوهرات سلاحف.. وبعد أن أحتسي كأسين من الشراب، سأعرف ما إذا كان الأمس، أو اليوم أو غداً...

*

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

القسم الرابع

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

عندما أدخل مكتب الاستقبال من أجل المفتاح، تخبرني المشرفة أن رجلا إنجليزيا أتى وترك لي ملحوظة. رجل إنجليزي؟ ... نعم، هذا ما فهمته، سيد من لندن.

مرحبا! قد أتيت لرؤيتك، كل شيء يسير على ما يرام معي، حظي عظيم، سأغادر باريس غدا أو اليوم التالي، آسف لأنني لم أستطع رؤيتك.

رينيه

ما إن أصل للطابق الرابع حتى يفتح الملتزم الباب ويخرج رأسه. «بقرة، بقرة قذرة!» يقول عندما يراني. رأسه يختفي ويصفق بالباب. لكنه يستمر في الحديث بصوت عال وحاد. أخلع المعطف والقبعة، وأضع العطر والجوارب التي اشتريتها للتو. كل الوقت وأنا أستمع، أجهد أذني وأنا أحاول الاستماع لما يقوله.

يتوقف الصوت، قرع عال. هذا كثير، الآن سأقول بضعة أشياء. إذا كنت تظن بأنني أخافك، أنت مخطئ، أنتظر للحظة...

أذهب للباب وأفتحه بشدة.

المحتال في الخارج، يبدو متحمسا وسعيدا بنفسه. يأخذ كلتا يدي بين يديه.

«أتيت قبلا. هل أخبروك؟.. لكن ما الأمر؟ لم تبدين خائفة؟».

«لست كذلك، أبدو متكدرة».

Twitter: @ketab_n

«أوه لا، تبدين خائفة. ممن أنت خائفة؟ مني؟ ياله من إطراء!».

«كنت أظن بأنه الرجل في الغرفة المجاورة. كان يصرخ علي. لقد استهلك أعصابي».

«هل كان وقحا معك؟ هل أضربه؟».

«بالطبع لا. ليس لأي سبب».

«سأفعل إن أردت ذلك. بإمكاني أن أكون مفيدا بأكثر من طريقة».

«يا إلهي! كلا، لا تفعل أي شيء من هذا القبيل».

«حسنا، ربما من الأفضل ألا أفعل. ربما من الأفضل أن أذهب للوقوف في الصف قبل أن أستلم أوراقي. لكن يجب أن أحصل عليهم، سيكون كل شيء على ما يرام غدا... تعجبني هذه الغرفة» يقول «غرفة جميلة، غرفة ساحرة. لا شيء سوى الأسرّة. هل بإمكاني الجلوس؟».

«هناك سريران فقط».

«آه، نعم، أرى -اثنين فقط. لكنها تعطي الإيحاء بأنها ممتلئة بالأسرة... انتظرتك هنا لما يقارب الساعة بعد الظهر. أخبرت مديرة الفندق أنني صديق من لندن. تحدثت لها بالإنجليزية. وسألتني إن كنت أود انتظارك في الغرفة».

«لابد أن هذا يفسر البقرة، بقرة قذرة!» «لا بأس بهذا كله، لكنني طلبت منك ألا تصعد إلى هنا وقلت بأنك لن تفعل».

«لكن لماذا؟ المرأة في الأسفل لطيفة جدا... لا أفهمك. هي لم تمانع على الأقل. بإمكانك إحضار شخص لهنا كل ساعة ولن تمانع من المؤسف إضاعة فندق كهذا. وغرفة كهذه، إنها تصلح حقا لممارسة الحب. هذه الغرفة. هل حقا لم تستغليها؟ لا أصدق أنك فعلت» يضحك بشدة. «هذه العيون، هذا الظل العميق تحت عينيك الحزينتين -ماذا عنهما؟».

Twitter: @ketab_n

«ليس ما تظن إطلاقا. لا أنام بشكل جيد، وأحتاج للكثير من الحبوب المنومة لأنام».

«فتاة مسكينة، فتاة مسكينة» يقول، يلمس عيني. «وأنت لاتدعينني أن أفعل شيئا حيال ذلك؟».

أنا الآن متعبة لكثرة ما ضحك علي، متعبة، متعبة، متعبة لكثرة ما ضحك علي. اذهب بعيدا. ابن زنا، لقد تعبت لكثرة ما ضحك علي.

يشعر بكدري. يقول بصوت مؤدب ورسمي «أتيت لأطلب منك أن نخرج معا هذا المساء، من فضلك، تعالي، سأكون محبطاً جداً إن لم تستطيعي».

سريع جدا، سهل جدا، ذلك التغير في المزاج. كما لو أنه سمكة تنزلق من ذيلها. الآن هنا، الآن هناك.

«حسنا، سأكون في كلوسير دي ليلاز في السابعة والنصف. سعيدة لأنك محظوظ جدا».

«لقد قابلت أمريكية» يقول بغموض «جميلة، وغنية جدا. جدا. كيف تقولين هذا -تنفجرين به».

«قذر».

«نعم، قذر».

«هل ذهبت لبار الرتز؟».

«لا».

«لا تخبرني أنك التقيتها في دوم؟».

«ليس دوم، ذلك المكان الدنماركي. تعرفين. حسنا، كنا نتحدث هناك ثم قالت أنها تود أن نلتقي في مكان آخر لنرقص. قلت، بصراحة، بصراحة شديدة.. تعلمين ...».

Twitter: @ketab_n

«متأكدة أنك كذلك».

أقول: «لا يوجد ما أوده أكثر من هذا، لكن للأسف حاليا أنا مفلس، على الأقل، مفلس تقريبا» بعد ذلك كان الأمر لا بأس به. كانت تقيم في الميوريس، لقد كان نجاحا هائلا».

«من الرائع أنك أتيت هنا وقطعت كل هذه المسافة لتخبرني هذا».

«هذا كل ما في الأمر» هذا شيء لن تتمكني من فهمه. لكن عندما تعيشين كما أفعل. تؤمنين بالحظ كثيرا. وأنا أعتقد بأنك تعودين علي بالحظ. تتذكرين ذلك المساء عندما التقيتك؟ كنت محبطا، محبطا جدا. أنت عدت علي بالحظ».

«جالبة الحظ... لم أفكر بنفسي قط بهذه الطريقة».

يمسك يدي بين يديه وينظر للخاتم في إصبعي، تضيق عيناه.

«ليس جيدا» أقول. «إنه يساوي خمسين فرنكا فقط. إن كان كذلك».

«ماذا، يداك؟».

«لم تكن تنظر ليدي، كنت تنظر لخاتمي».

«كم هي شكاكة، هذه المرأة إنها غير معقولة... لكنك ستأتين هذا المساء أليس كذلك؟».

«نعم، سأكون هناك. حيث تحدثنا في تلك الليلة، سأكون هناك في السابعة والنصف».

يذهب مزهوا كمنتصر.

أبدأ في السير جيئة وذهابا في الغرفة. أشعر بالحماس، أذهب للمرآة أنظر لنفسي، أحدق في نفسي. أكشر، أنظر لأسناني. اللعنة على هذه الإضاءة -كيف بإمكاني التبرج في هذه الإضاءة؟

Twitter: @ketab_n

ها أنا أتقافز، وأتصنع الابتسامة. وفجأة أخبر نفسي: «لن أفعل شيئا، أي شيء. القليل من الكبرياء، القليل من الكرامة. باسم الرب. لن أضع حتى الجوارب التي اشتريتها بعد الظهر. لن أفعل شيئا -لا شيء. لن أكشر وأقف أمام هؤلاء الناس بعد الآن».

وفي النهاية، هذه الإثارة فقط على السطح. في الداخل أنا مختلفة. في الداخل هناك دائما ماء آسن، هادئ، غير مختلف، السلام المر الذي يقترب كثيرا من الموت، أن تكره...

لدي ألف وستمئة فرنك بقيت. كافية لشراء الفستان الذي اخترته اليوم. أن أدفع أجرة الفندق ورحلتي للعودة للندن. كم سيتبقى؟ لنقل أربعمئة فرانك. آخذ مئتين وخمسين فرنكا، مئتين للوجبة، إذا ما كانت هناك وجبة. خمسين فرنكا خلف المرآة في حقيبتي من أجل سيارة أجرة ما إذا تشاجرنا. إن ساء الأمر.. «هي، تاكسي» -وها أنت خارج كل هذا.

وقتّ نفسي لأتأخر عشر دقائق. ووصلت لكلوسريه دي ليلاس في الثامنة وعشرين دقيقة. نظرت من الشرفة. لم يكن هناك أحد. لن أذهب للزاوية أو أنظر في الجهة الأخرى. لابد وأنه في الداخل في ليلة باردة كهذه.

فتاة جميلة جدا تجلس على البار وتحتسي الشراب. لا إشارة للمحتال.

أطلب سينزانو، أشعر بنبضي، كما هو في جميع الأوقات. هل أنا محبطة. هل أنا متكدرة؟ لا أنا هادئة تقريبا. أيضا أشعر بالثقة. إنه في الجوار. أعتقد.

أقول للنادل «هل هناك أحد على الشرفة؟».

«لا أظن ذلك، الجو بارد جدا هذا المساء».

«هل لك أن تذهب وأن تأخذ نظرة؟» أقول بهدوء. وبثقة.

«وإن كان هناك شخص ينتظر، هل لك أن تخبره أنني في الداخل هنا؟».

Twitter: @ketab_n

بعد دقيقة عاد ويسير من خلفه المحتال.

«ها أنت ذي، ظننت بأنك لن تأتين».

«أراهن بأنك تصورت أن العالم وصل لنهايته. أراهن أنك لم تستطع تصديق ذلك».

«لا لم أستطع» يقول: «لكنني كنت على وشك أن أصدق كل ذلك عندما أتى النادل. كنت ألعنك. قلت حيث تكلمنا في تلك الليلة، وهناك انتظرتك... شعرت بالبرد، تناولت كأسين من البيرنود لأشعر بالدفء. لكنني ما أزال أشعر بالبرد. تحسسي يدي، سأتناول كأسا آخر».

كان يبدو ثملا بعض الشيء. لكنه ثمل بالطريقة اللاتينية. نشط جدا، مقيد.

الفتاة على البار نهضت من كرسيها، وسارت ببطء أمامنا.

«يالها من فتاة جميلة. انظري كيف تسير -حركة الأرداف، أليست جميلة؟ ياله من جسد جميل تمتلكه هذه الفتاة».

«ألا تود أن تلحقها لتكتشف؟» أقول «أعتقد أن تلك كانت هي الفكرة».

«لا، لا أنت من أود التحدث إليها».

«هذا ما أنا هنا لأجله، تفضل».

«عندما كنا نتناول العشاء» ثم صمت لنصف ثانية ليتركني أتحدث.

طلبت منه تناول العشاء معي.

«شكرا» يقول. «في الحقيقة، عندما دفعت لكل هذه المشروبات. لم يتبق عندي الكثير».

«ما الأمر ألم تحصل على المال من صديقتك الأمريكية».

Twitter: @ketab_n

«أوه، لا، لا، ليس بعد».. «عندما أطلب منها شيئا. سيكون شيئا ذا قيمة. لكن المرء لا يجب أن يفعل ذلك بسرعة. بالطبع. يجب أن تكون جاهزة... هي جاهزة تقريبا. أعتقد أنها ربما تكون غدا جاهزة».

ينظر مباشرة في عيني طالما يتكلم. مع ذلك الإحساس بأن أحدا ما يتحداك.

«هل ستعطيني المال لأدفع للعشاء الآن بدلا من المطعم؟» يقول في التاكسي. «سأفضل ذلك».

«بالطبع، كنت سأفعل».

أعطيته المئتي فرنك. وأنزلق فمه للأسفل.

«عندما ينتهي الأمر، عشاء، شراب، سيارات أجرة»، أقول «سيتبقى معك فرانكان تقريبا». لقد خططت لكل شيء.

«كم أنت سيئة يا امرأة!»

لا أعرف ما أمره هذا الرجل، يبدو لي طبيعيا جدا، سعيدا. هذا أيضا يجعلني أشعر أنني طبيعية وسعيدة.

كما لو كنت شابة –شابة جدا. لم أكن شابة أبدا. عندما كنت شابة كنت مقيدة جدا. متحمسة. لم أكن شابة حقا. لم ألعب حقا...

«أنا جائع.» يقول. «أنا جائع بحيث لا يمكنني أن أفكر في شيء آخر عدا الطعام. أن آكل وآكل و آكل، وبعد ذلك ماذا يحدث؟».

«هذا واحد من أماكني السعيدة الراقية» أقول. «سنحصل عليه كاملا لنا فقط».

ولكن كالعادة، هناك بعض الأشخاص في المكان. جميعهم يأكلون بجدية.

Twitter: @ketab_n

أود رؤية نفسي في إضاءة جيدة. وأذهب في الأعلى للمغسلة. واحدة من الأشياء التي تجذب في بيج آند ليلي. نظيف جدا، ومتألق. مضيء بشكل جيد. مع الكثير من المرايا. ولا شخص هناك ليراقبك. هل أبدو بشكل جيد؟ لست سيئة، بالتأكيد، لست سيئة...

«على الأقل» يقول عندما أنزل للأسفل «أخيرا ستتمكن من أن نأكل»

لست جائعة. توقعت أن ينتبه أن الطعام ليس جيدا، لا سعادة في هذا المكان الضيق، على العموم. لم يبد أنه يلاحظ. أنه يأكل كثيرا. يتحدث كثيرا.

لا أصدق هذه الأمريكية التي يتحدث عنها. ربما اخترعها. لكن لابد أن شيئا حدث جعله يشعر بالسعادة حول نفسه بالرضا والثقة.

بالرغم من أنه يبدو متأكدا من أنه سيكون في لندن بعد بضعة أيام.

يحاول الحصول على معلومات مفيدة مني. نواد ليلية على سبيل المثال. مطاعم يمكن أن يذهب إليها؟ كل شيء في لندن نادي، أليس كذلك؟ نواد، نواد، نواد... نواد في لندن... كيف يمكن أن يحصل على خياط أنيق؟ هل يقوم الجيدون منهم بالدعاية لأنفسهم؟

«لا أعلم. أنا الشخص الخطأ الذي من الممكن أن تسأله عن هذا».

«أليس من الممكن أن ترتبي حفلا، لتعرفيني على أصدقائك وعائلتك؟» نصف متهكم نصف متملق.

«ليس لدي أي أصدقاء».

«أوه، سيء جدا، سيء جدا».

لم يذهب للندن من قبل. كما يبدو. لكنه يعرف كل شيء عنها.

لقد تم إخباره بهذا وتم إخباره بذاك.

عندما وصلنا لمنتصف زجاجة النبيذ الثانية كنت قد استمعت لكل شيء

Twitter: @ketab_n

عن منجم الذهب عند القناة.

موقف يثير الفضول -بالنسبة لأصدقائه. تقريبا نصف الرجال مثليون. ومعظمهم لا يحبون الموقف على الإطلاق. والنساء الإنجليزيات المسكينات لا يمتلكن إلا أن يشهقن من الموقف أوه، يا فتى! ألسن مستعدات للدفع. إذا سلكت الطريق الصحيحة. أوه، يا فتى! موقف يثير الفضول.

منجم الذهب غير المستغل على الجهة الأخرى من القناة..

أنا آكل قليلا جدا. ليكون للنبيذ تأثير. وبدأت في الجدال مع هذا الغبي المتفائل.

لكن في نهاية جدالي قال بهدوء: «تتحدثين هكذا لأنك امرأة. والجميع يعرف أن إنجلترا ليست دولة النساء. تعرفين المثل «تعيس ككلب في تركيا، أو امرأة في انجلترا.. لكن بالنسبة لي سيكون الوضع مختلفا».

تلك هي فكرته. لكنه سيكتشف بأنه سيكون ضد المواصفات العنصرية، لا الجنسية. الحب فضيلة صارمة في إنجلترا. «مسألة نظافة في الغالب يا عزيزي. ضرورة غير راقية -ومن الذي سينفق مالا أو تفكيرا أو وقتا على ضرورة غير راقية؟... لدينا حصتنا من أوراق الورد. لكن فقط لأن أوراق الورد هي ملين جيد للأمعاء».

«انتبه لنفسك، لانك ربما تحصل على علبة سجائر مزيفة مع حروف اسمك عليها بعد الكثير من الجهد».

هو متأكد من أن كل شيء سيكون بخير. يجب أن تشعر بالأسى من أجله. وأنه وسيم جدا هذا الشيطان المسكين. مليء بالحياة. سعيد، صحيح البدن كما لو أنه لم يكن يشرب كثيرا. كما لو أنه... يتحدث عن تقنية التجارة -تبدو بلا معنى. قد تكون بلا معنى. إنه يحاول أن يصدمني أو يثيرني أو شيئا ما...

إنها التاسعة والنصف. ومازلنا نجلس هناك، نثرثر.

Twitter: @ketab_n

«هل صحيح أن الرجال الإنجليز يمارسون الحب بكامل ملابسهم؟ لأنهم يعتقدون بأنه أكثر احتراما هكذا؟».

«نعم بالطبع، بملابسهم كامله. يضيفون بالطبع معطف ماكنتوش المطري».

بعد هذا كنا في حالة فقدان.

«سأريك الآن شيئا مضحكا للغاية» يقول.

«انظري لهذه الملعقة...».

«نعم، إنه مضحك، أليس كذلك؟»

«بإمكاني أن أفعل ما هو أفضل» يقول.

أراقب بحذر. إذا ما تعلمت هذه الخدعة. ستزيد من قيمة مرحي.

هل يعجبك هذا؟ هل يعجبك ذاك؟ ما الذي تكرهينه أكثر من أي شيء آخر؟ سأخبرك أمرا يثير الفضول سمعته ذلك اليوم. إلخ، إلخ...

إنه جيد جدا في هذا -هادئ، عادي، بلا ضوء في عينيه. لكن صوته يصبح عاليا. من الجيد أنه لم يتبق في الغرفة سوى بضعة أشخاص. ولا أعتقد بأنهم يفهمون الإنجليزية.

لكن المالك لابد وأنه يفهم. عندما أحضر القهوة كان ينظر لي نظرة نصف مشفقة نصف حادة. كما لو أنه يقول: «حقا، حقا، حقا، كنت أظن أنك أكثر منطقية من هذا. حقا، حقا...» إنه بالتأكيد يفهم الإنجليزية.

أحدق فيه، حسنا، ماذا في ذلك، أيها العجوز الدبق؟ هل أنت خال من اللوم في أي شيء؟ هل أنت؟ لا يجب أن أفكر هكذا. أنا لا أنتقدك. لذا لا تنتقدني، فهمت؟

يبتعد بطريقة مهذبة. «لقد حذرتك يا فتاة» يفكر «كلهم كلاب الدينغو

Twitter: @ketab_n

كلهم، كلهم، كلهم...».

لا يهم، هذا الحديث أصبح مجهدا. إلى ماذا سيقود؟... أها، ها هو ذا. «لقد رتبت كل شيء. عندما كنت أنتظرك في الشرفة. سألت النادل عن مكان من الممكن أن أذهب له معك، بما أنك لا تودين أخذي معك لفندقك. أخبرني عن مكان جيد في بولفارد راسبيل».

«يا إلهي!» أقول «هل سألت النادل؟».

«نعم، بالطبع، الندل يعرفون جيدا حول هذه الأمور».

«هذا مكان آخر لن أتمكن من أن أريهم وجهي فيه مرة أخرى».

«وأنت تقول أنك لست برجوازيا!».

«لم أقل ذلك، أنت قلته».

لا يهم. إنه محق تماما. غدا يجب أن أدخل المقهى وأجلس على تلك الطاولة تحديدا على الشرفة وأن أحتسي شرابا. لكن عندما أفكر «غداً» هناك فجوة في رأسي. بياض. كما لو كنت أقع في الفراغ. غدا لا يأتي أبدا.

أقول «غدا لا يأتي».

«لا أفهم».

«اسمع، أخبرتك بهذا منذ البداية. لن يحدث ذلك. لم تراوغ حول هذا الأمر؟ إنه غباء».

«للأسف» يقول بلا مبالاة. مؤسف، كان من الممكن أن يكون جميلا، ما كنت لأخذلك».

(لكن لنفترض أنني خذلتك).

إنه ذكي. هذا الرجل. إنه يشعر بم أفكر. يقول: «تعلمين، لا يجب أن تخافيني. لن أقول شيئا قاسيا لك أو عنك. لست قاسيا مع النساء. ليس بهذه

Twitter: @ketab_n

الطريقة. كما ترين أنا أحبهن، لا يعجبني الأولاد. حاولت في المغرب، لكن لا فائدة، أنا أحب النساء».

«إذن يجب أن تساوي وزنك ذهبا. أتمنى فقط أنك فهمت».

«هل تحبين الفتيات؟» يقول، يبدو فضوليا.

«لا، لا أحب الفتيات».

«ماذا، ألم تلتقي في حياتك بفتاة كان من الممكن أن تحبيها؟».

«لا.. أبدا، نعم، لمرة فعلت، رأيت فتاة في بيت دعارة كان من الممكن أن أحبها».

«أوه كم هو ملائم».

يضحك. مالك المطعم يبدأ بالنظر إلينا، يهز كتفيه ويدير ظهره.

«لم أحببتها؟».

«حسنا» أقول «ياله من سؤال!».

كيف يمكنك أن تقول لم أحببت أناسا؟ تستطيع أيضا أن تقول أين من الممكن أن يضرب البرق. على الأقل، هكذا دائما بدا لي الأمر.

«أخبريني عن هذه الفتاة».

«لا يوجد ما أخبر به، سوى أنني أحببتها. كانت تبدو حزينة جدا ولطيفة جدا. هذا لا يحدث كثيرا».

يبدو مستمتعا جدا.

«هل مارست معك الحب؟».

«لا، بالطبع لا» أقول «بالطبع لا».

«ما الذي حدث؟ أخبريني».

Twitter: @ketab_n

«حسنا، عندما كنت أفكر بكل هذه الأفكار العاطفية دخل زبون جديد وركضت هي لتنضم للحشد الذي التف عليه. تعرف كيف يفعلون ذلك... أنا أكره بيوت الدعارة عموما».

(الآن لم هذه الفتاة أتت فجأة من الماضي؟ لم تكن جميلة، ليست نجمة على الأقل، توقعت أنها لم تقض وقتا جيدا. لكنني وددت وضع ذراعي حولها وأن أقبل عينيها وأن أواسيها وإن لم يكن هذا حبا، فما هو؟).

«كل النساء يكرهن بيوت الدعارة» يقول.

«حقا؟ لا أتصور أنك سمعتهن يتحدثن، بالإضافة لذلك لا تخبرني بأنني مثل بقية النساء، لست كذلك».

«نعم، لكن كل النساء يقلن هذا أيضا».

الآن يبدو لي أن هناك تضاد في الجو. سيكون مؤسفا أن ننتهي بشجار.

«لا فائدة مني لأحد» أقول أنا.

«أنا عقلانية ألا تستطيع رؤية ذلك؟».

أفكر كم هو مضحك أن يكون عنوان كتاب «عقلانية فقط أو إنك لن تستطيع منعي من الحلم».

فقط بالتأكيد ليتم قبوله كأمر أصلي. لأحمل قناعة أنه يجب أن يكون مكتوبا من قبل رجل. ياللأسف، ياللأسف!

«هل هذه فكرتك عن نفسك؟» يقول.

«نعم، بالطبع».

«إنه ليس لي إطلاقا. وإلا لظننت أنك غبية قليلا».

كنت مأخوذة، إذا ما ظن بأنني غبية الآن ما الذي سيتصوره عن حواري الطبيعي. الذي يسير بهذه الطريقة: «أعتقد أن الجو سيكون جيدا

Twitter: @ketab_n

اليوم -نعم، أرجو ذلك -نعم -نعم -نعم».

«تعتقدني غبية؟» أقول.

«لا، لا لا تتكدري. لا أقصد غبية. أعتقد بأنك تشعرين أفضل مما تفكرين».

حقا؟ أتساءل.. حسنا، غبية... هناك حوار مضحك جدا يدور في رأسي -أو أنه يبدو لي مضحكا جدا. أود أن أوقف نفسي عن الضحك بصوت عال. لذا أقول «نبرة صوتنا ترتفع كثيرا، ياله من عقلاني. على العموم! لا أعرف. هل تفعل؟».

«عقلانية» يقول بجدية «المرأة التي لا تحب الرجال ولا تحتاجهم».

«أوه، هل هذا هو الأمر؟ لطالما تساءلت. هناك الكثير من هؤلاء. والأعداد تزيد كل يوم».

«لكن العقلانيات لا يحببن النساء أيضا، العقلانية حقا هي المرأة التي تحب نفسها فقط، لا شيء ولا أحد آخر. تحب عقلها فقط. أو ما تعتقد بأنه عقلها».

سعيدة جدا بنفسها، كولد صغير بقبعته العالية...

«في الحقيقة، وحش».

«نعم، وحش».

«بعد كل هذا يسعدني حقا أنك تظن أنني غبية.. لنطلب الفاتورة. لنذهب».

«اتصلت بك ذلك الصباح» يقول.

«نعم، أعلم. كنت نائمة، نزلت للهاتف متأخرة جدا».

«كنت تعلمين من يكون؟».

Twitter: @ketab_n

«كنت أظن بأنك أنت، ربما، لم أكن متأكدة».

«لديك أصدقاء في باريس إذن؟».

«لا أعرف أحدا هنا، ما عدا روسيان التقيتها في ذلك اليوم، يعجبانني كثيرا».

«روسيان» يقول بصوت حاقد.

«روس في باريس! الجميع يعلم أنهم يهود وبيض مساكين. الناس الأكثر مللا في العالم. أناس فظيعون».

لسبب ما أنا كئيبة جدا لهذا. بدأت أتساءل لم أنا هنا في الأساس. ما الذي أفعله في صندوق هذا المطعم، أتبادل قصصا قذرة مع محتال لعين. أردت الهرب. أردت الخروج من المكان.

«سأذهب للمعرض» أقول «أود رؤيته مرة أخرى بالليل قبل أن أذهب».

«المعرض؟».

«ألم تذهب له؟».

«لا، ما الذي من الممكن أن أفعله في معرض؟».

«سأذهب، لست مجبرا على الذهاب إن لم ترد، سأذهب لوحدي».

سأذهب لوحدي، أن أستقل سيارة أجرة وأسير بطول الطريق. أن أرى النافورة تحت الضوء البارد.

«لكن بالطبع» يقول «إن أردت الذهاب للمعرض سنذهب، بالطبع».

*

دخلنا من مدخل تروكادير. لا يوجد الكثير من الناس، بارد، فارغ، جميل –هذا ما تخيلته هذا ما أردته.

Twitter: @ketab_n

«ما هو الضوء في الأعلى هناك؟» يقول.

«تلك نجمة السلام. ألم تتعرف عليها؟».

يحدق بها مرة أخرى.

«كم هي حقيرة! مبتذلة نجمة السلام تلك».

«المبنى جيد جدا» أقول بصوت مدرسة.

نقف في الممشى نحدق في النافورات. نبحث لأسفلهم. «هذا ما أردته -النافورات الباردة، قوس قزح البارد يضيء على الماء...».

يقول مرة أخرى «إنها حقيرة نجمتك تلك».

نقف لبعض الوقت، متكئين على الدرابزين. يضع يديه في يدي. أشعر به يرتجف. عندما أخبره بذلك، يجيب «الجو بارد هنا بعد أن كنت في المغرب».

«أها، بالطبع، المغرب».

«أنت لا تصدقين أنني أتيت من المغرب. أليس كذلك؟» كل شيء حوله هو كذبة. بالتأكيد هو لا يرتدي ملابس تناسب هذا الجو.

الأضواء تتلألأ على الماء. النافورة الدوارة باردة وجميلة...

«لم لم تقترض بعض المال من صديقتك الأمريكية لتشتري لك معطفا؟».

«لا سأنتظر، أود شراء ملابسي من لندن».

يا إلهي -سيبدأ مجددا حول عناوين خياطي لندن...

«لنذهب ونحتسي بعض الشراب في مكان آخر. سيدفئنا هذا..».

«مشروب؟» يقول.

«نعم، بالطبع، لكن لنفترض أنني لا أريد أن أقطع كل هذه المسافة في هذا الجو البارد من أجل مشروب رخيص» يبدأ في الصفير. كولد صغير. يصفر عندما يحاول أن يستجمع شجاعته -بصوت عال، واضح وصاف.

Twitter: @ketab_n

«ما هذا اللحن؟ أعجبني».

«تلك مسيرة الفيلق» يقول «الحقيقية.. أو هذا ما أظنه. لكن كيف سأعرف».

«أخبرني عن المغرب».

«لا، لا أود الحديث عن المغرب... لا أود التفكير فيها» يقول بصوت عال. «هيا لنذهب، ونحتسي شرابنا.»

«الوداعي» أقول.

«لا بأس -الوداعي. لكن ليس هنا. لنخرج من هنا ...».

نجلس جنبا إلى جنب في سيارة الأجرة. لا نتلامس.

يصفر بهدوء طوال الوقت. أراقب الشوارع من النافذة. وها أنت، باريس وهذا الشراب الوداعي...

«أين سنذهب؟» يقول.

تجاوزنا دو ماغوتس.

«لا بأس بهذا. لندخل هنا».

المقهى لم يكن مزدحما. أختار طاولة بعيدة عن الناس، أبعد ما يمكن. طلبنا كأسين من البراندي. أخبرني أنه في السادسة والعشرين. لكنني أظن بأنه أكبر سنا من هذا -إنه في حدود الثلاثين. ولا يبدو كمحتال. ليس كمحتال أبدا.

فجأة شعرت بالخجل وبعدم الثقة. (كم هذا سخيف! لاتدعيه يرى ذلك. من أجل الله).

أحتسي نصف الكأس من البراندي والصودا، وأبدأ في الحديث عن آخر مرة كنت في دو ماغوتس وكيف أنني كنت أقيم في أنتيبس وكيف أنني عدت

Twitter: @ketab_n

سعيدة جدا ومع المال أيضا، وكل شيء آخر.

«مال كسبته، ليس مزحة. كان مضحكا جدا. كتبت حكايات خيالية لامرأة ثرية جدا. ذهبت لمونبرنانس بحثا عن شخص ما وبالطبع كان هناك تدافع، اختارتني لأنني كنت الأرخص. الليلة التي عدت لمونبرنانس -غنية جدا- احتفلنا. بدأنا في هذا الفندق لأنني كنت أقيم في فندق قريب من هنا».

ما أمر البراندي والصودا والعودة لدو ماغوتس. كل شيء يدور بشكل جميل في رأسي. ستأتي لغرفتي في الصباح الباكر، ترتدي ثوبها، شعرها مسرح على شكل ضفيرتين. شكلها لطيف. يجب أن أقول. «هل أنت مستيقظة، سيدة جانسن؟ لقد فكرت للتو في قصة. بإمكانك أن تأخذيها باختصار. أليس كذلك؟» «لا، أعتقد بأنه لا يمكنني». (غش! لما تدفعه يجب أن تكتفي بمختصر) «لو أنك تخبرينني ما تريدين قوله سأتمكن من كتابته». استمرت «كان ياما كان، كان هناك صبار-» أو وردة بيضاء أو وردة صفراء أو وردة حمراء، كيفما اتفق. كل هذا بعد إذنك، في السادسة والنصف صباحا... «هذه الحكاية» ستقول. وتبدو متحمسة. «إنها حكاية رمزية. تفهمين ذلك؟» «نعم أفهم» لكنها لم تكن واضحة أبدا حول الرمزية. «هل من الممكن أن تجعليها حديقة فارسية؟».

«لا أجد ما يمنع ذلك» وهناك أمر أود الحديث معك حوله. سيدة جانسن. أعتقد بأن صاموئيل لم يحبب آخر رواية كتبتها».

يا إلهي، هذا الانقباض في القلب -كأنك تهبط في مصعد. عرفت أن هذه الوظيفة أجمل من أن تكون حقيقية. «ألم يفعل؟ أنا آسفة. ما الذي لم يعجبه فيها». «حسنا، أعتقد بأنه لا يحب طريقتك في الكتابة. هذا ماقاله. إذا أخذنا في الاعتبار تكلفة هذه القصص، يعتقد أنه من الغريب أن تكتبي كلمات من مقطع صوتي واحد. يقول بأنها رتيبة. وأنك لا تعرفين كلمات

Twitter: @ketab_n

طويلة. فإن كنت تفعلين، هلا استخدمتهم من فضلك؟...».

السيدة هولبرغ أكثر حماسا للتعاون معي. وهي كاتبة حقيقية. للتو قد أنهت الجزء الثالث من كتابها حياة نابليون. بعد تلك الملحوظة اللطيفة أضافت: «لقد أراد صاموئيل أن يتحدث إليك بنفسه، لكنني أخبرته بأنني أفضل أن أفعل ذلك. لم أرد أن يجرح مشاعرك. قلت بأنني متأكدة من أنني لو أخبرتك وجهة نظره ستحاولين أكثر. أكره حقا أن تجرح مشاعرك لأنني أعتقد أننا نتشابه بصورة ما. ألا تعتقدين ذلك؟» (لا، أنا بالطبع لا أعتقد ذلك، أيتها الكلبة المدللة) «أنا آسفة جدا لأن القصة لم تعجبك» أقول.

جالسة على طاولة كبيرة، ورقة بيضاء أمامي، وفي الخارج الشمس والبحر الأبيض المتوسط. مونت كارلو، مونت كارلو، حيث الفتى الذي أحب في انتظاري... حديقة فارسية. كلمات طويلة. الجلاء والعتمة؟ الشفافية؟.. متأكدة من أن الأفعال الكارثية ستعجبه، وتدفق الطرد المركزي أيضا. لكن السؤال هو كيف سأضعها في الحديقة الفارسية؟... حسنا، ربما أفعل. الغريب يظن بأنه حدث... ورقة فارغة... في يوم من الأيام، في يوم من الأيام عاشت هناك تلك التي تحب الخنازير. حدائق فارسية، حكام فرس، بالتأكيد كانوا يدعون حكاما... إنه جميل جدا في الخارج. بدأت الموسيقى تعزف من مكان ما... أطحنها، إلهي بكل الكلمات الطويلة الممكنة. والموسيقى في الخارج تعزف «فالنسيا»... «هل مازلت هنا سيدة جانسن؟ ألم تخرجي؟ لقد فكرت للتو في قصة جديدة. كان يا ما كان، عاش هناك...».

ولدت بحصافة. تلك المرأة، قوية كظفر، مع شعور قوي بالملكية! كانت لتثور لو أنها رأت بقعة من النبيذ على كراسيها من نوع لويس كوينز. لويس كوينز أصلي بالطبع.

يخبرون عن أناس كهؤلاء بالقول أن عقولهم في مقصورة مياه، لكن الأمر

Twitter: @ketab_n

لا يبدو كذلك بالنسبة لي. كلها تغسل كماء آسن في مخازن السفينة. كلها تغسل بنفس الطريقة -لا مقصورة مياه... جنيات، ورود حمراء، الشعور بالملكية -بالطبع هم لا يشعرون بالأشياء كما نفعل -زنابق في ضوء القمر- أنا أؤمن بالحياة بعد الموت. لدي إثبات عليها. ونحن سنجد أجسادنا العزيزة المألوفة في الجانب الآخر. لقد نسي صاموئيل شراء تحامليه -الشفقة ستكون غير واردة في هذا السياق- لا آخذ أناسا من هذا النوع لمطاعم راقية. ذلك غير ضروري ويضع أفكارا في رؤوسهم. لست طيبة. حقا، ولا ننسى كل الطيور الصغيرة تغني-فحص للجنون قد ينفع. آدلر قد يكون أفضل من فرويد. ألا تظن ذلك؟ -القضاة الإنجليز لا يمكن أن يخطئوا -البيانو يمنحك شعورا مصريا قليلا...

كلها مغسولة في نفس المخزن، لا مقصورة مياه.

كنت أحاول إخبار رينيه بكل ذلك وأن أضحك كثيرا، عندما يوقفني.

«لكنني أعرف هذه المرأة. أعرفها جيدا... مرة أخرى أنت لا تصدقينني. هذه المرة يجب أن تصدقيني، اسمعي، كانت هكذا» وصفها بالضبط. «والمنزل كان هكذا» رسم خطة على ظهر المظروف «هنا أشجار النخيل. هنا درجات المدخل. كبير الخدم الإنجليزي المريع -هل تتذكرين؟ الكبينتان هنا مع الاحجار الكريمة. الكبينتان الأخريان مع مجموعة الخزف. درابزين السلم الدائري. هل تتذكرين كيف كانوا ينزلون منه في المساء؟».

«نعم» أقول. «عرف كيف أنزل من على الدرج أنا».

«في أي غرفة أقمت؟ هل كانت تلك التي في الطابق الثاني. مع أريكة الساتان الخضراء من المخدع حتى الحمام؟».

«لا كانت غرفة عادية في الطابق الثالث. لكن يالها من مجموعة عطور! أحلم بهم أحيانا.»

Twitter: @ketab_n

«كان منزلا سخيفا، أليس كذلك؟»

«كنت مبهورة جدا» أقول «كان منزل المليونير الوحيد الذي أقمت به في حياتي كلها».

«لقد عشت في منزل أغنى من هذا بكثير. لقد أقمت في أحدها ولكثرة ثرائه كنت إذا ما سحبت قابس الحمام خرجت الموسيقى... أناس أثرياء -يجب أن تشعري بالأسف عليهم. ليس لديهم أي فكرة عن الطريقة في صرف أموالهم. ليس لديهم أي فكرة حول كيف يستمتعوا بحياتهم. ليس لديهم أي ذوق وإن كان لهم أي ذوق. فإنه كضريح يلتزمون به الصمت».

«هل ستغير كل هذا؟».

لم يكن هناك من شك من أن هذا الرجل أقام في هذا المنزل، وعرف هؤلاء الناس. البعض قد يظن أن هذا قد يمنحني المزيد من الثقة في بعضنا البعض. ليس كذلك. ذلك يجعلنا أكثر تشكيكا. لا شك في أنه صارم في عدم الكشف عن هويته وهذا يساعد في مناسبات كهذه.

متى حدث كل هذا. وما حكايته؟ هل عاش في فرنسا لبعض الوقت؟ دخل في عدة مشاكل ثم انضم للفيلق؟ هل تلك هي الحكاية؟ على العموم ما الذي يهمني في حكايته؟ أعتقد أن لديه واحدة مختلفة كل يوم.

أقول «اعذرني للحظة.» بأدب، ونزلت لدورة المياه.

تلك دورة مياه أخرى أعرفها جيدا. أخرى مليئة بالمرايا.

«حسنا، حسنا، في المرة السابقة التي التقينا كنت مختلفة قليلا، أليس كذلك؟ هل ستصدقينني إن قلت ذلك؟ كل الوجوه التي أراها أتذكرها واحدا واحدا. وأحتفظ بشبح ألقي به على كل واحد منها -بخفة، كصدى- عندما تنظر لي مرة أخرى.. كل المرايا في كل المغاسل تفعل ذلك».

Twitter: @ketab_n

لكنه ليس بالسوء الذي يبدو. إنه فقط التغيير الذي يجعلك به الشراب أكثر جمالا. قبل أن يجعلك تبدو أسوأ.

يقول: «أنت تختفين دائما في المغاسل. ماذا تفعلين؟».

«ما الذي تتوقعه؟» أقول محدقة به. «أنا أهرم».

يقطب جبينه «لا، لاتقولي ذلك. لا تتكلمي بهذه الطريقة. لست مسنة، لكنك تخشين أن تكوني شابة. أعرف، لقد أخافوك. ألم يفعلوا؟ لم تدعينهم يخيفونك؟ إنهم دائما يحاولون ذلك. بطريقة أو بأخرى».

«شكرا للنصيحة الجيدة. سأحاول تذكرها. أنا الآن مستعدة تماما لشراب آخر».

«لكنك قلت أنك إذا شربت كثيرا فإنك تبكين، ولدي رعب من الناس التي تبكي وهي ثملة».

«لا أشعر بهذا أبدا. لم أكن أكثر سعادة من الآن في حياتي».

ينظر لي ويقول «لا، لا أظن بأنك سوف تبكين. حسناً» وها هو ذا كأس آخر من البراندي. سكبت الصودا به وراقبت الفقاعات وهي تتصاعد من الأسفل للأعلى في الكأس.

سأحتسيه ببطء هذا الكأس. «لا تأخذي وقتا طويلا، أنهي هذا، لنستطيع المغادرة».

«إلى أين؟».

«لفندقك، أو بولفارد راسبايل. كما تودين... يالك من امرأة غبية». يقول. «امرأة غبية، لم تتظاهرين؟ الآن انظري لي مباشرة في عيني وقولي بأنك لا تريدين».

«بالطبع أريد».

Twitter: @ketab_n

«إذا لم لا تفعلين؟ على الأقل أخبريني لم لا. شيء تريدينه وأنا أريده».

«شيء غير مهم».

«أوه، مهم!» يقول «لكنه سيكون لطيفا. على الأقل أخبريني لم ترفضين. أم أن هذا كثير ليطلب؟».

«لا، إنه ليس كثيرا ليطلب، سأخبرك، لأنني خائفة».

«خائفة» يقول «خائفة! لكن مم؟.. هل تظنين بأني سأخنقك، أم سأذبحك من أجل خاتمك الجميل ذاك، هل هذا هو الأمر؟».

«لا، أنا متأكدة من أنك لن تقتلني للحصول على خاتمي».

«إذن ربما تخافين أن أقتلك، ليس للحصول على المال، لكن لأنني أحب أن أفعل أمورا سيئة. لكن هنا هو مكمن غبائك، معك لا أود أن أفعل شيئا سيئا».

«دائما هناك شخص لا تود أن تؤذيه، أليس كذلك؟».

«نعم، هناك دائما ذلك الشخص» يقول «أود أن أستلقي بجانبك وأن أشعر بذراعيك حولي».

– وتخبرني كل شيء، كل شيء... لقد قال هذا سابقا.

«توقف عن الحديث عنه».

«بالطبع» يقول «لكن أولا، فقط من باب الفضول، أود أن أعرف مم أنت خائفة جدا. أكملي شرابك وأخبريني. فقط من باب الفضول».

أشرب، شيء في صوته آلمني. لا يمكنني قول أي شيء. حلقي يؤلمني ولا أستطيع قول شيء.

«أنت خائفة مني. تعتقدين بأنني سيء. تعتقدين بأنني ربما أقتلك».

لو كنت أعتقد بأنك ستقتلني، سآتي معك بدون تفكير وبدون أسئلة.

Twitter: @ketab_n

ماذا تريد أكثر من ذلك. بإمكانك الحصول على أي مال أمتلكه مع مباركتي...

«لا أعتقد بأنك أكثر سوءا من بقية الناس. أقل، ربما».

«إذا مم تخافين؟ أخبريني، أنا مهتم... من الرجال. من الحب؟... ماذا، بقي؟... مستحيل».

تقطعين الشارع بسلام. ترحلين، تقعين في السواد.

هذا الماضي -أو ربما المستقبل. وأنت تعلمين أنه لا يوجد ماض ولا يوجد مستقبل. هناك فقط هذا السواد، يتغير بشكل طفيف، ببطء، لكنه دائما متشابه. أقول «نعم بالطبع أخاف منهم. من الذي لن يخشى من قطيع من الضباع؟».

أفكر: «اصمتي، توقفي، ما الفائدة؟» لكنني لا أستطيع التوقف. أستمر في الهذيان.

«وعندما أقول خائفة -تلك كلمة أستخدمها فقط. ما أعنيه حقا أنني أكرههم. أكره أصواتهم، أكره عيونهم. أكره الطريقة التي يضحكون بها... أكره كل أمر لعين. إنه قاس، إنه غبي، إنه مريع بطريقة لا يمكنك التحدث عنها. لم تكن لدي الشجاعة لأقتل نفسي. أو لربما كنت قد فعلتها منذ زمن طويل. لذلك فذلك أسوأ ما في. لنتركه هنا».

... أعرف كل شيء عن نفسي الآن. أعرف. أخبرتني غالبا. لم تترك لي وهما واحدا أخبئ فيه نفسي. لكن بمساعدة الرب أعرف ما أنت أيضا، ولن أتبادل معك أمرا...

كل شيء قد فسد، كله فسد، حسنا، لا تبك عليه... لكن بإمكانكم أن تمزقوا بعضكم البعض لقطع صغيرة. أيتها الضباع اللعينة. وكلما كان أسرع فهو أفضل... ليتدمر، ليحدث، لينتهي، هذا الجنون البارد. ليحدث.

Twitter: @ketab_n

منذ خمس دقائق فقط كنت في دو ماغوتس. أرتدي ثوبي الأسود الرخيص اللعين، أضحك وأتحدث عن منتجع آنتايبس. والآن أغرق في الكآبة أتحدث عن الظلمة. وحيدة. لا صوت، لا لمسة، لا يد... لكم من الوقت يجب أن أستلقي هنا؟ للأبد؟ لا، فقط لبضع مئات من السنوات هذه المرة، إخفاق...

أخرج نفسي من الظلمة تدريجيا، مؤلم، ها أنذا، وهاهو، المحتال المسكين.

يبدو حزينا، يقول. يتحدث بصوت خفيض، وللمرة الأولى بلهجة قوية: «لدي جروح».

يلفظ «جروح» بطريقة غريبة لم أفهم ما يقصد.

«لديك ماذا؟».

أتلفت حولي، هل صرخت، لعنت، بكيت هل أثرت انتباه الناس؟ هل ينظر لنا أي أحد. هل يلاحظنا أي أحد؟ لا، لا أحد... المرأة على الطاولة وعينيها للأسفل. لاحظت الظل الأزرق على جفنها. يشاهدون بداية أشياء مضحكة. هؤلاء النسوة يجثمن في أماكن عالية في المقاهي. يجثمن كأصنام عبادة، بالذات من يجلسن في دوم.

«لديك ماذا؟».

«انظري» يقول. يهمس. يلقي برأسه للوراء. هناك أثر، حول حنجرته. الآن أفهم ما الذي يعنيه من الأذن للأذن. أثر طويل أبيض سميك. غريب أنني لم ألحظه من قبل.

يقول: «هذا واحد، هناك أخرى. لقد جرحت».

لا يقولها بطريقة متبجحة. وليست شكوى. إنه متحير، متحير بطريقة غير شخصية. كما لو أنه يسألني أنا -أنا من بين جميع الناس- لماذا، لماذا، لماذا؟

Twitter: @ketab_n

أشعر بالأسف عليك؟ لم علي أن أشعر بالأسف عليك؟ لم يشعر أحد بالأسف علي من قبل. إنهم بلا رحمة. «أنا لدي أيضا» أقول بصوت واثق. «أنا أيضا».

«أعرف، بإمكاني أن أرى ذلك. أصدقك».

«حسنا» أقول «إذا بدأنا في تصديق بعضنا فالأمر بدأ يأخذ منحى جادا. أليس كذلك؟».

أود الخروج من هذا الحلم.

«لكن لم لا يجب أن نصدق بعضنا؟ لم يجب ألا نصدق بعضنا لليلة فقط؟ هل ستصدقين شيئا سأخبرك به الآن؟ أود حقا ممارسة الحب معك».

«أخبرتك من البداية بأنك تضيع وقتك».

«ماذا حدث لك؟ ماذا حدث؟» يقول.

«لابد أن شيئا سيئا حدث لتصبحي بهذا الشكل».

«شيء واحد؟ لم يكن شيئا واحدا. لقد أخذ الأمر سنينا، لقد كان تغيرا بطيئا».

يقول «لايهم. ما أعرفه أن بإمكاني فعل هذا معك» يحرك يديه كخباز يدلك رغيفا «وبعد ذلك ستكونين مختلفة، أعرف، صدقيني».

أرى الشيطان الصغير المقطب في رأسي. يرتدي قبعة وملابس مثيرة. ويغني أغنية عاطفية. -«الورود كلها ذبلت والزنابق في التراب».

أقول: «الآن من الذي يحاول أن يجعل من أمر غير مهم يبدو أمرا مهما؟»

«مهم، غير مهم -تلك فقط كلمات. إذا كان بإمكاننا أن نسعد قليلا، لننسَ كل شيء قليلا. أليس هذا مهما كفاية؟... الآن سنذهب، سنذهب لفندقك».

Twitter: @ketab_n

«لا»

اتركني وحيدة. أنا متعبة...

«لا تودين فعل شيء؟» وشرع في الضحك.

«لا أود فعل شيء، بالطبع لا أود فعل شيء».

لكن كل شيء يبدو مختلفا. لا يمكنني النظر إليه. «يجب أن أذهب، من فضلك. أنا متعبة جدا».

في سيارة الأجرة قلت «صفر ذلك اللحن. هل من الممكن أن تفعل ذلك؟ قلت أنها مسيرة الفيلق».

يصفره بنعومة. وأراقب الشوارع من النافذة. «فندق لا اسبرانس...».

*

كنت في غرفة بيضاء. والشمس ساخنة في الخارج. رجل يقف وظهره لي. يصفر ذلك اللحن وينظف حذاءه. أنا أرتدي فستانا أسود قصيراً جدا، ونعالا بلا كعب. ساقاي عاريتان. أنتظر التعبير على وجه الرجل عندما يلتفت. الآن هو يتعامل معي بلؤم. الآن يخونني، هو غالبا يحضر للمنزل نساء أخريات. ويجب أن أنتظرهن. ولا يعجبني ذلك. وطالما هو حي وإلى جانبي فإنني لست غير سعيدة. لو أنه يموت لقتلت نفسي.

عقلي الذي يصور كل شيء كفيلم... (بحق الرب، انتبه لعقلك الذي يسجل كل شيء كفيلم سينمائي).

«علام تضحكين الآن؟» يقول.

«لاشيء، لاشيء... يعجبني هذا اللحن، هل تعتقد بأنه يمكنني الحصول على تسجيل غرامافون له؟».

«لا أعرف».

Twitter: @ketab_n

كنا على باب الفندق.

«تصبحين على خير» يقول « نامي جيدا. خذي جرعة كبيرة من المنوم».

«سأفعل، وأنت كذلك».

لست حزينة وأنا أصعد السلالم. لست حزينة، لست سعيدة. لست نادمة، لا أفكر بأي شيء كثيرا. فقط، أرى بوضوح في رأسي أنبوب إضاءة، وزجاجة الويسكي...

ما إن أصل إلى الباب حتى أسمع صوتا في الظلام. من المستحيل أن أضع المفتاح فيه. يجب أن أقطع الظلمة لرأس الدرج، وأن أعيد زر مفتاح توقيت الإضاءة مرة أخرى.

أبحث عن مقبض الباب عندما أرى ضوء السيجارة على بعدة ياردة أو اثنتين من وجهي. أقف لما أعتقد بأنه، مدة طويلة وأنا أتفرج. ثم أنادي: «من هناك؟ من أنت؟ من هناك؟».

لكن قبل أن يجيب كنت قد عرفت. تحركت خطوة للأمام وطوقته بذراعيّ.

وضعت ذراعيّ حوله وبدأت في الضحك. لأنني سعيدة جدا. كل شيء الآن بين ذراعيّ في هذه الظلمة -الحب، الشباب، الربيع، السعادة، كل شيء اعتقدت بأنني خسرته. كنت غبية. ألم أكن كذلك؟ لأعتقد بأن كل هذا انتهى بالنسبة لي. كيف يمكن أن يكون انتهى؟

أضع يدي وأتحسس شعره. كنت أود فعل ذلك منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها.

«هل أخفتك في البداية؟»

أضاء المصباح، يبدو سعيدا. لكن متفاجئ.

Twitter: @ketab_n

«لا، لا..» أقول «نعم، قليلا... لا».

لكني أهمس وأنظر حولي بجزع. ما الذي أتصور رؤيته؟ لم يكن هناك أحد في الممر. لاشيء. لاشيء سوى حذاء المالك عند بابه. أصابع الأقدام بحذر تشير للخارج كالعادة.

يأخذ المفتاح من يدي، يفتح الباب ويغلقه خلفنا. نقبل بعضنا بحمى. لكن شيئا ما كان قد مرّ بشكل خاطئ. لست مرتاحة. نصفي في مكان آخر. هل سمعني أحد، هل هناك من يصيخ السمع الآن؟

«إنه مظلم هنا، لحظة، سأصلحه».

المفتاح في غرفتي إما يشعل المصباح عند السرير، أو الثاني فوق ستائر المغسلة. يعتمد بأي شدة تضغط المقبض. لكنه دائما يخطئ ويفعل الشيء المعاكس لما تتوقعه. أتصارع معه قليلا حتى أستطيع إشعال النور عند السرير.

الآن الغرفة تشع، أضحك منتصرة. السرير الكبير، السرير الصغير، الطاولة مع الأنبوب المشع. الكأس وزجاجة الماء. الكتابان. الساعة تدق على الحافة. القائمة «هل فهمت؟ نعم، فهمت...» أربع جدران، سقف، سرير. رجال في القفص... بالضبط.

ها نحن، لاشيء يوقفنا. أربع جدران، سقف، سرير، مغسلة، ضوء يصل أولا للحافة ثم للسرير. -لاشيء يوقفنا. كل ما تحب، كل ما تحب...لا ماضي يجعل منا عاطفيين، لا مستقبل يحتوينا... لحظة صعبة عندما تكون قد صدأت لقلة الممارسة، لحظة تجعل منك باردا وحذرا.

«هل تود احتساء بعض الويسكي؟» قلت «لدي بعض منه». (هذا أصيل، لا أعتقد أن أحدا فكر مطلقا بهذه الطريقة لتجسير الفجوة من قبل). نزعت معطفي وقبعتي، أحضرت زجاجة الويسكي. شطفت كأس فرشاة الأسنان. أصنع خليطا لنفسي وخليطا له في كأس مياه ايفيان الذي كان

Twitter: @ketab_n

نظيفا. صنعته بأبطأ ما يمكن. الوقت، الوقت، امنحني بعض الوقت -انتظر للحظة، انتظر للحظة، ليس بعد...

جلسنا على السرير الصغير. أخذ رشفة من الويسكي ووضع الكأس جانبا.

«أليس جيدا؟ ألا يعجبك؟».

«إنه جيد، لا أود الشرب.».

«شرابي طعمه مريع. طعمه كغسول الفم».

«إذن لم تشربينه؟ لا تشربيه».

لا يهم. أستمر في ارتشافه، رشفات صغيرة، ليس بعد، ليس بعد ... انتظر للحظة.. لن تكون فظا. أليس كذلك؟ بحق الله، قل لي شيئا لطيفا... لكن عينيه ساخرتان وهو ينظر لي. لا أعتقد بأنه سيقول شيئا لطيفا. على العكس، لكن ذلك طبيعي. يجب أن أتوقع ذلك. تكنيك.

أقول: «مضحك كيف أن بعض الرجال يدعونك تشعر بالنهم بقدر ما تستطيع أن تتحكم بنفسك. وآخرين يحاولون إيقافك. تلقائيا. بعضها غريزة عميقة تبدو مستمرة. شيء عرقي-نعم، متأكدة إنه عرقي».

يقول «الآن في الممر عرفت بأنه أنا؟».

«نعم، بالطبع».

«لكن كيف عرفت قبل أن أتحدث؟».

«لقد عرفت» أقول بثقة.

«إذن كنت تعلمين بأنني سآتي من خلفك، توقعت ذلك؟».

«لا، لم أتصور ذلك للحظة». يضحك ويضع يديه على ركبتي من تحت فستاني. أكره ذلك. إنه يذكرني بـ -لا يهم..

Twitter: @ketab_n

«تحبين الأدوار الكوميدية أليس كذلك؟»

«ما الذي تعنيه -كوميدية؟».

لم يكن من المفترض أن أشرب الويسكي بعد البراندي. إنه يجعلني مشاكسة. ومضات غضب، أو احتقار، تطلق علي... كوميديا، ما هي الكوميديا؟ كوميديا، يا إلهي!

الغرفة اللعينه تكشر في وجهي. الساعة تدق. ما الذي أفعله هنا؟

«سأحتسي كأسا آخر من الويسكي».

«لا. لا تشربي أكثر».

اذهب للجحيم... دفعت يديه بعيدا عني ونهضت.

«أخبرني شيئا. كنت تظن بأنني طوال هذا الوقت أحاول جرك للقدوم إلى هنا، وكل ما قلته هذا المساء كان كوميديا؟».

«لقد عرفت بأنك أردتني أن أحضر إلى هنا، لقد كان ذلك واضحا» يقول.

من الممكن أن أقتله بسبب الطريقة التي قال بها ذلك. وبسبب الطريقة التي ينظر لي بها... سهل، سهل. حر وسهل. سهل أن يستغفل، سهل ليعذب، سهل ليضحك، لكن ليس مرة أخرى. أوه لا، ليس مرة أخرى... لقد كنت غير لطيف بسرعة. تكنيك سيء.

«مرحى» أقول. «سأقول لك، كان لطيفا منك أن تأتي إلى هنا، وكنت سعيدة جدا برؤيتك. الآن يجب أن تذهب».

«بالطبع لن أذهب، لم أنت هكذا؟ من فضلك لا تكوني هكذا».

«لا، لافائدة، أفضل أن تذهب».

«حسنا، لن أذهب» يقول «أود رؤية هذا المشهد الكوميدي، أن تدعي

Twitter: @ketab_n

أحدا للتخلص مني... «النجدة، النجدة..» يصرخ بصوت مزيف.

«بهذا الشكل أن كنت تودين أن تصنعي من نفسك غبية».

«لقد كنت غبية طوال حياتي، بحيث أن قليلا أو كثيرا من الغباء الآن لن يكون له أي تأثير».

«اصرخي إذن، هيا، أو لم لا تطرقين الجدار على صديقك في الغرفة المجاورة ليأتي لإنقاذك؟».

ما إن قال هذا حتى هدأت. إن كان هناك شيء أود تجنبه فهو فضيحة في هذا الفندق».

لا أود أن أخلق طابورا هنا، لكن يجب أن تذهب».

«لماذا؟».

«لأنني أريد منك أن تذهب، وستذهب».

«فقط هكذا؟».

«نعم، فقط هكذا».

«لكن ما ظنك بي -كلب صغير؟ تعتقدين أن بإمكانك أن تقبليني ثم تقولين «اخرج»؟ لم تنظري لي جيدا... لا يعجبني الأمر» يقول. «هذا الصوت الذي يصدر الأوامر».

«حسنا، أنا أطلب منك الذهاب».

«أوه، أنت تزعجينني» يقول «تزعجينني، تزعجينني».

وها نحن، نتصارع على السرير الصغير. فكرتي هي ألا يكون صراعا حقيقيا بقدر ما يكون صراعا صامتا. لا يجب أن يسمعنا أحد. في النهاية هو مستلق علي. يمسك بيديه ذراعي المفتوحتين، لا يمكنني الحراك. ثوبي مرتفع حتى عنقي. لكن ركبتي مغلقتان بشدة. إنها لعبة -لعبة في الثلج من

Twitter: @ketab_n

أجل جائزة تافهة...

يتنفس بسرعة وأستطيع سماع نبضات قلبه. أنا هادئة. «هذا حقا كوميدي بعض الشيء» أواصل التفكير. أفكر أيضا «يبدو مشاكسا، من الممكن أن يكون مشاكسا هذا الرجل».

أغلقت عيني لأنني أردت الحفاظ على هدوئي. أود أن أستمر في قدرتي على التفكير. «هذا كوميدي فعلا».

«نحن على السرير الخطأ» أقول «وبجميع ملابسنا، علينا أيضا.. كالإنجليز».

«لدينا الكثير من الوقت، لدينا الليل بطوله. لدينا حتى الغد».

وقت طويل حتى الغد. مئة عام، ربما حتى الغد...

«هناك حقيقة جيدة» يقول «لامرأة مثلك. تلعب وتكذب وتمثل كوميديا غبية كل الوقت».

يخبرني عنها.

«جيد جدا، جيد جدا. أين تعلمت ذلك؟ في المغرب؟».

«لا» يقول «في المغرب إنه أسهل بكثير. تحصلين على أربع رفاق لمساعدتك. ثم يكون الأمر سهلا. كل يأخذ دوره. إنه جميل هكذا» يضحك بصوت عال.

«بحق المحبة» أقول «بإمكانك وصف نظرياتك الرائعة دون أن تصرخ بأعلى صوتك. بالتأكيد».

«تظنين بأنك قوية جدا. أليس كذلك؟».

«نعم، أنا قوية جدا».

قوية كالأموات يا عزيزي. لهذه الدرجة أنا قوية.

Twitter: @ketab_n

«إن كنت قوية هكذا فلم تغلقين عينيك؟».

لأن الأموات يجب أن يبقوا عيونهم مغلقة.

أستلقي ثابتة تماما. لا أتحرك. لا أفتح عيني...

«سأوذيك» يقول «إنه خطؤك».

عندما أفتح عيني أشعر بالدموع تترقرق من طرف العينين.

«هذا أفضل، هذا أفضل الآن قولي «أخبرتك أن تذهب، وستذهب».

لا يمكنني الكلام.

«هذا أفضل، هذا أفضل».

أشعر بركبته الصلبه بين ركبتي. فمي يؤلمني. نهداي يؤلماني، لأنه يؤلم، عندما تكون ميتاً أن تعود للحياة...

«الآن كل شيء سيكون على ما يرام» يقول «هل تفهمين؟».

بالطبع الإجابة الطبيعية هي «نعم، أفهمك..».

أستلقي هناك وأفكر «نعم، أفهم» أفكر «للمرة الأخيرة» أفكر في لا شيء. أستمع للصوت البارد الواضح، صوتي.

«بالطبع أفهم. من الطبيعي أن أفهم. سأكون غبية جدا إن لم أفعل. إذا نظرت ليمينك الجيب في الخزانة فوق تلك الطاولة ستجد المال الذي تريده».

يترك رسغي أشعر به يذهب بهدوء. «إنها ليست مقفلة، خذ ورقة الألف فرنك، لكن من أجل الله اترك لي الباقي لأنني سأكون في موقف مزر».

لكن كم هو ثقيل. أثقل مما قد يظن به.

«لا يجب أن تفكر -أقول- أنني متكدرة لأي سبب. لأنني لست كذلك. كل إنسان يعيش ليكسب. أليس كذلك؟ إنني فقط أحاول أن أوفر عليك الكثير من العناء».

Twitter: @ketab_n

لا تستمع، إنها ليست أنا من تتحدث لا تسمع، لاشيء له علاقة بي -أقسم...

«وأنا أظن بأنك كنت لطيفا جدا معي» أقول. «أعجبتني كل تلك القصص التي أخبرتني بها عنك. خصوصا تلك التي عن جروحك وآثارها. لقد أمتعتني جدا».

أضع ذراعي على وجهي. لأنني أشعر بأنه سوف يضربني.

«إنني أحاول فقط أن أوفر عليك الكثير من العناء.» أقول «الكثير من الوقت لتضيعه. بإمكانك الحصول على المال مباشرة. لذا سيكون الأمر مضيعة للوقت، أليس كذلك؟».

وزنه ليس علي بعد الآن، إنه يقف، لقد ابتعد بسرعة بحيث لم يكن لدي وقت لأضع ذراعي حوله. أو لأقول «ابق» لأقول «لا تفعل ذلك. لا تدعني هكذا، لا تتركني هكذا، لا تفعل».

«نعم، أنت محقة» يقول «سيكون مضيعة للوقت».

«أنت وجروحك -ألا ترى كم أنت مضحك؟ أنت تجعلني أضحك. جروح الآخرين-كم هي مضحكة! يجب أن أضحك في كل مرة أفكر بك».

أبقي ذراعي على وجهي. يسير للمرآة، ينظر لنفسه. يرتب ربطة عنقه. الآن يفتح الخزانة. أبقي ذراعي على وجهي. لأنني لا أود رؤيته يأخذ النقود. لا أود رؤيته يغادر...

ربما يقول شيئا، ربما يقول تصبحين على خير. أو وداعا، أو حظا سعيدا، أو شيئا ما.

يغلق الباب.

عندما يذهب أنقلب على جانبي وألتف على نفسي. أجعل من نفسي

Twitter: @ketab_n

أصغر ما يمكن. ركبتاي تكادان أن تلمسا خدي. أبكي بتلك الطريقة التي تؤلمك جدا. الطريقة التي توجع قلبك وبطنك. من هذا الذي يبكي؟ هو نفسه الذي كان يضحك في الممر. قبلته وكنت سعيدة. تلك أنا. تلك هي أنا، التي تبكي. الثانية -ما أدراني من هي الثانية؟ إنها ليست أنا.

صوتها في رأسي. «حسنا، حسنا، حسنا، فكري بذلك الآن. يالها من عشرة أيام ممتعة! ممتلئة بالإيجابية، العرض الأخير لـ «ما اسمها وفتيانها» أو «إنه كله يعود لمعطف قديم من الفرو». بالتأكيد العرض الأخير... استمري، ابكي. اذهبي. ثانية، انطلقي كما يقولون هنا... الآن، اهدأي، اهدأي، قولي كل هذا بهدوء. تناولت العشاء مع رجل وسيم وقبلك، ودفعت ألف فرنك لأجل ذلك. كم هو بخس هذا الثمن. بالذات مع ما هو بديل له. لا تنسي البديل. عزيزتي، لكن بالطبع لن تنسي. هل ستفعلين؟ وأنت التي التقطت شخصين من الشارع واشتريت لوحة. لا تنسي اللوحة. لأذكرك -بم أذكرك؟ أوه نعم. لقد عرفت، بالتعاسة الإنسانية...

سيحدق بي، لطيف، متواضع، مستقيل، ساخر. مجنون قليلا، يقف عند الجدول يعزف البانجو. سأنظر له لأنه لن يمكنني مقاومة ذلك. أتذكر كيف كنت يافعة وكيف كنت أمارس الحب، عن الأمل والرقص وعدم الخوف من الموت. عن كل الموسيقى التي أحببتها، وكل مرة كنت بها سعيدة. سأنظر له وأقول: «أعرف الكلمات للحن الذي تعزفه. أعرف كل الكلمات لكل لحن عزفته يوما على جهازك البانجو اللعين. حسنا، لا يجب أن أغني بعد الآن -ها أنت، الأغنيه انتهت، الأغنيه انتهت، انتهى».

ثم سأفكر بهذا الفندق. الشكل الدقيق للسرير والأوراق الكارتونية في المرحاض. كانت هناك تلك النكتة العادية التي تجعلني أضحك بشدة لأنها كانت موقعة بـ «رب»، هكذا ر - ب، رب، نكتة، من الرب، ويالها من روح

Twitter: @ketab_n

دعابة! حتى الإنجليز ليسوا بهذه الطريقة.

تقول «أكره أن أقاطع بكاءك أعرف أنه أفضل أوقات ماضيك. لكن يجب أن أذكرك بأن الرجل في الغرفة المجاورة ربما قد سمع كل حرف لعين حدث وهو الآن يسمع الصفير، ليس ما يتوقعه المرء تماما. لكن ربما، مضحك قليلا».

أتوقف عن البكاء. أمد رجلي. أشعر بالتعب. «شيء آخر» تقول «إذا ما أخذ كل المال -وهو تقريبا بالتأكيد ما فعله- سيكون هذا أمرا لطيفا، أليس كذلك؟».

أنهض وأنظف أنفي. هناك دم على المنديل. أنظر في المرآة وأجد فمي منتفخا. ولا زال ينزف حيث صفعه. أذهب للخزانة. «هيا انظري، ستعرفين»

أدخل يدي في الجيب، وأخرج المال. أنظر له، ورقة مئتا فرنك. وورقة الألف.

«ياله من إطراء! من كان ليظن ذلك؟».

«لقد عرفت» أقول «لقد عرفت، لذلك بكيت».

تناولت الكأس وملأته حتى المنتصف بالويسكي، نخبك أيها المحتال، المحتال الأنيق... أنحني لك بعمق. خذ آخر...

أحتسي آخر.

أقدر ذلك، المحتال اللطيف، من صميم قلبي. لست متعودة على هذه اللباقة. لذا هذا لك، هذا لك.

*

أنا ثملة جدا، أشاهد وجه الروسي، وفمه يتحرك قائلا: «السيدة فينوس سي فاشيرا.» «أوه، هي!».

Twitter: @ketab_n

أقول «لم أهتم بها؟ لم تفعل لي شيئا سوى أنها عبثت بي بألعابها القذرة.» «إنها تفعل ذلك للجميع» يقول «في جميع الأحوال، كوني حذرة منها، انتبهي لنفسك، انتبهي لنفسك..».

همهمة أصوات تسمعها لكن كل ما تسمعه: «امرأة، امرأة، امرأة ...» وصوت قطار يقول «باريس، باريس، باريس ...» السيدة فينوس غاضبة وفوبس ابولو يبتعد عني في الشارع حتى يختفي في السخام.

العنوان: مونز م. ابولو، سخام... لكنني أعرف أن كل هذا هلوسات، تخيلات، فينوس ميتة، ابولو ميت، حتى المسيح ميت.

كل ما بقي في العالم الماكنة العظيمة. مصنوعة من الفولاذ الأبيض لديها عدد لا نهائي من الأذرع المرنة أذرع طويلة نحيفة. في نهاية كل ذراع عين، الرموش صلبة من الماسكرا. عندما أنظر عن كثب أرى أن فقط بعض هذه الأذرع لها عيون. الأخرى لديها أنوار. الأذرع التي تحمل العيون، والأذرع التي تحمل الأنوار جميعها رائعة، مرنة، وجميلة جدا. لكن السماء الرمادية، التي هي الخلفية، تخيفني... والأذرع تتحرك حركات راقصة مع موسيقى وأغنية. مثل هذه: «هوتشا - هوتشا - هوتشا...» «أنا أعرف الموسيقى أستطيع غناء الأغنية...».

أحتسي كأسا آخر، الصوت اللعين في رأسي، سأوقفك عن الكلام...

أسير في الغرفة جيئة وذهابا. لقد ذهبت، أنا وحيدة.

لم يمض وقت طويل منذ غادر.

ضعي معطفك والحقي به. لم تتأخري كثيرا. لم تتأخري كثيرا. للمرة الأخيرة، للمرة الأخيرة...

حسنا، لا أستطيع، عزيزي، ليس لأنني مغرورة جدا أو شيء كهذا، لكن لأن ساقيّ تشعرانني بشعور مضحك.

Twitter: @ketab_n

«عد، عد» أقول بهذه الطريقة. مرة بعد مرة. «يجب أن تعود، يجب أن تعود، سأجبرك لتعود، لا هذا خطأ... أقصد، عد من فضلك، أتوسل لك لتعود».

أضغط يدي على عيني وأراه، هو يسير على بولفارد ساينت ميشيل إلى مونبرنانس يفكر: «امرأة قذرة. امرأة غبية».

«عد، عد، عد» أقول.

هو لا يسمع.

يسير بأسرع ما يمكنه، هو بارد ومتكدر.

«أنت لا تحبين الرجال، ولا تحبين النساء أيضا. لا تحبين شيئا، لا تحبين أحدا، أيتها العقلانية القذرة، أترككم مع العقلانية القذرة..».

(وحش... الوحش الذي بإمكانه فقط أن يحبو، أو يطير... آه، لكن يطير..).

«لكن لماذا تلك اللفتة بألا تاخذ النقود؟» أناقش.

«لقد كان سخيفا بكل بساطة، تعرف بأنك تندم على ذلك. عد وخذها. بإمكانك الدخول، بإمكانك القول «نسيت شيئا ما» خذها واخرج».

عد، عد، عد...

هذا هو الجهد، الجهد العظيم، عندما يسقط العقل البشري وينهار. لكن ليس قبل أن ينتهي من الأمر. ليس قبل أن تتحرك الجبال.

عد، عد، عد...

يتردد، يتوقف، أحصل عليه.

«اسمع، بإمكانك سماعي الآن، أليس كذلك؟ إنه مبكر قليلا -ليست الثانية عشرة بعد. الباب سيبقى مفتوحا. كل ما عليك فعله أن تصعد للطابق

Twitter: @ketab_n

العلوي إذا حدثك أيا كان قل: «المرأة في الحادي والأربعين تتوقع حضوري. تنتظرني» قل هذا.

أراه بوضوح شديد، في رأسي. لا أجرؤ على تركه يبتعد لدقيقة.

عد، عد، عد...

ليس عليه أن يقرع الباب، أعتقد أن بإمكانه الدخول.

أنهض أحاول وضع المفتاح في الباب من الخارج، أوقعه، أترك الباب مفتوحا قليلا.

«أرتدي كل ملابسي» أفكر «يا للغباء!».

أخلع ملابسي بسرعة. أراقب كل خطوة يتخذها.

الآن ها هو يعود لنهاية الشارع. كم هو واضح في رأسي. إنه يعود لنهاية شارعي. أرى المنازل...

أعود للسرير. أستلقي هناك وأنا أرتجف. أنا متعبة جدا. لست أنا، لا، لا تقلق. إنها العقلانية القذرة المتعبة جدا. لا تقلق، لا مزيد من العقلانية القذرة. أفكر: «كم بدوت سيئة! يجب أن أطفئ الضوء».

لكن لا يهم. أنا الآن بسيطة وغير خائفة. أنا الآن نفسي. بإمكانه النظر إلي إذا أراد ذلك. فقط سأقول: كما ترى، لقد بكيت بهذه الطريقة لأنك غادرت».

(أو بكيت بهذه الطريقة لأنني لن أغني مرة أخرى؟ لأن الضوء في العقلانية القذرة قد اختفى؟).

الآن هاهو قد عاد إلى الفندق. يضغط الزر ويفتح الباب.

يصعد السلالم.

الآن الباب يتحرك، الباب يفتح على مصراعيه. أضع ذراعي على عيني.

Twitter: @ketab_n

يدخل. يغلق الباب خلفه.

أستلقي ثابتة جدا. وذراعيّ على عيني. ثابتة كما لو كنت ميتة...

لست بحاجة لأرى. أعرف.

أفكر: «هل هو الفستان الأزرق، أم الأبيض؟ ذلك مهم جدا. يجب أن أعرف ذلك. إنه مهم جدا.»

أبعد ذراعي عن عيني، إنه الفستان الأبيض.

يقف هناك، ينظر لي، ليس واثقا من نفسه. عيناه اللئيمتان تومضان.

لا يقول أي شيء. الحمد لله، إنه لا يقول شيئا. أنظر مباشرة لعينيه وأحتقر شيطانا مسكينا من البشر لمرة أخيرة. للمرة الأخيرة...

أطوقه بذراعيّ، وأسحبه على السرير قائلة « نعم، نعم، نعم ...».

Twitter: @ketab_n

المؤلفة – جين ريز:

كاتبة دومينيكية ولدت في العام 1890، عرفت بكتابة الروايات والقصص القصيرة والمقالات، تعتبر من كتاب الحداثة وما بعد الحداثة. تلقت دراستها في بريطانيا العظمى من عمر السادسة عشرة. أكثر رواياتها شهرة **بحر ساراغوس الواسع** 1966. توفيت في العام 1979 عن عمر ناهز الثمانية والثمانين.

المترجمة – منى الصفار:

شاعرة بحرينية صدر لها:

- عندما كنت صامتاً، 1998.
- على قدمين عاريتين، 2013.
- أحبك والمرآة بيننا، 2014.

جين ريز

صباح الخير منتصف الليل

«صباح الخير منتصف الليل» الرواية المقتبسة من عنوان قصيدة إميلي ديكنسون هي العمل الروائي الثالث لجين ريز، ابنة الدومينيكان ونتاج حضارة رأس المال الخانقة، والتي اختفت -بعد نشرها- عن الأضواء مصابة بحالة من الإحباط واليأس معتزلة الكتابة والناس، حتى قررت ذات يوم «سيلما فاز دياز» تحويل العمل إلى المسرح فنشر زوجها إعلانا في صحيفتي «نيو ستيتمنت» و«نيشن» للبحث عن جين ريز وأخذ موافقتها. عادت ريز إلى الأضواء ثانية واتصلت دار بنغوين بها لإعادة نشر الرواية التي مازالت تطبع حتى اليوم وتُعتمد كأحد الأعمال الهامة في الأدب النسوي. لا تختلف الرواية كثيراً عن حياة ريز الواقعية والتي قدمت من خلالها صورة المرأة التي عاشت حياة مؤلمة وحيدة، أجهضت مرة، وأدخلت السجن والمصح النفسي مرات. عاشت كل صنوف الشقاء لتنتصر في النهاية لنفسها ولأدبها. رواية لا يتخلص منها الذهن بسهولة.

ناصر الظفيري

ISBN: 978-99958-70-90-4

info@masaapublishing.com
www.masaapublishing.com
P.O.Box 65317 Manama,
Kingdom of Bahrain

مسعى للنشر والتوزيع
Masaa Publishing & Distribution